N1909.558
051/287

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 08 ماي 1945 قالمة

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم التاريخ و الآثار
التخصص: التاريخ العام

مـــــذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام بعنوان

حياة ابن تومرت مقاربة الدعوة و الثورة

إعـــداد الطالبة:
- صويـلح آسيـة

إشـــراف الدكتور:
قريان عبد الجليل

لجنة المناقشـــة:

الأستـــاذ	الرتبة العلمية	الصفـــة	الجامعـــة
د. مرزوقي بلقاسم	أستاذ التعليم العالي	رئيســا	جامعة 08 ماي 1945
د. قريان عبد الجليل	أستاذ التعليم العالي	مشرفـا	جامعة 08 ماي 1945
د.عطابـي سنـاء	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة 08 ماي 1945

السنة الجامعية: (1435-1436) هـ/ (2014-2015) م

الاهـــــداء

الحمد الله الذي وفقنا لهذا و لم نكن لنصل إليه لولا فضل الله علينا أما بعد:

فإلى من نزلت في حقهم الآية الكريمة في قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) الآية 23 سورة الاسراء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى أمي الغالية، و أبي سندي في الحياة

حفظهما الله لي.

و إلى رفيق دربي زوجي: محمد و إلى والدينا "كمال و عبيدة"

و إخوتي: غاني و سفيان و زوجاتهم، و حمزة و محمد نور اليقين.

و إلى أخواتي: شهرة قدوتي في الحياة، صونيا، دنيا، سمية، وحيدة، مريم و أزواجهن، و أولادهم و إلى وردة، أمينة، سارة.

و إلى الكتكوتة الصغيرة: ** انوار الهدايث**.

و إلى كل من أكن لهم التقدير و الاحترام، أصدقائي و أحبائي.

إلى كل من علمني حرفا في حياتي....اهدي ثمرة جهدي

آســـيـــة

الشـــكر

إنه لمن دواعي الغبطة و السرور أن أتقدم بشكري إلى:

أستاذي "قريان عبد الجليل" الذي تفضل بالإشراف على هذا العمل، و أبدى لي من النصح و التوجيه ما كان خير معين على الإنجاز.

و في هذا المقام يطيب لي أن أتقدم بجزيل شكري و عظيم امتناني إلى أخي الأستاذ "سفيان صويلح".

كما لا أنسى شكر كل أساتذتي بقسم التاريخ بكلية العلوم الإنسانية، و إلى كل أساتذتي من الطور الأول إلى الطور النهائي. فمن علمهم نهلت و من توجيهاتهم استفدت فجزاهم الله و وفقهم.

كما أتوجه بالثناء و الشكر إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد لإنجاز هذا العمل.

و شـــكرا

خطـــة البحث

❖ **مقدمة**

❖ **مدخل:** مظاهر المناكر في المجتمع المرابطي

❖ **الفصل الأول: المهدي بن تومرت-شخصيته و تكوينه**

❖ المبحث الأول: مولده و نسبه

❖ المبحث الثاني: نشأته

❖ المبحث الثالث: رحلة ابن تومرت إلى المشرق

❖ **الفصل الثاني: الدعوة التومرتية**

❖ المبحث الأول: عودة ابن تومرت من المشرق و بداية دعوته

❖ المبحث الثاني: مفردات الدعوة التومرتية

❖ المبحث الثالث: ابن تومرت من الدعوة إلى البيعة

❖ **الفصل الثالث: مسار تأسيس دولة الموحدين**

❖ المبحث الأول: تأسيس الجماعة الموحدية

❖ المبحث الثاني: النشاط العسكري

❖ **خاتمة**

❖ **قائمة الملاحق**

❖ **قائمة المصادر و المراجع**

❖ **فهرس الموضوعات**

مقدمـــة

كان المغرب الاسلامي منذ القدم مسرحا للعديد من الحركات الدينية الهادفة لتحقيق دولة إسلامية كبرى من شأنها أن تمثل الإسلام الصحيح للمغاربة، فقامت به عدة دول كان أساسها الأول الثورات الدينية الرامية للتغيير و الإصلاح، فمن أهم هذه الحركات حركة الموحدين في القرن السادس الهجري، و التي أسسها محمد بن تومرت، هذه الدعوة التومرتية التي كانت الأساس لدولة قوية واصلت مسيرة تقدمها، فاستطاعت بسط نفوذها إلى أن أصبحت دولة لها وزنها و تأثيرها و كانت بذلك أضخم و أهم دولة عرفها المغرب الإسلامي.

و بما أن هذه الدعوة هي موضوع بحثنا، فكان اختيارنا لهذا الموضوع بناءا على أسباب أهمها: بسبب شخصي ذاتي و هي الرغبة في بحث هذا الموضوع المثير، إضافة إلى محاولة دراسة حياة ابن تومرت الذي كان مؤسس لهذه الحركة التي أدت إلى نشوء دولة الموحدين، بتركه للباحث تعاليم و أفكار تجسدت في مؤلفاته و بالأحص كتابه "أعز ما يطلب"، فكانت مجالا خصبا لمعرفة جوانب كثيرة من تاريخ الدولة الموحدية.

فالباحث لهذا الموضوع يتبادر إلى أذهانه مجموعة من التساؤلات:

- من هو ابن تومرت؟
- و كيف نشأت هذه الشخصية؟ و كيف كان تكوينه في المشرق أثناء رحلته العلمية التي قام بها؟

- و ما مدى تأثير هذه الرحلة في دعوته؟

- و هل لقي ابن تومرت الدعم السياسي لحركته خلال مرحلته الدعوية؟

- و كيف كان انتقال الدعوة التومرتية من المجال السياسي إلى المجال العسكري؟

و للإجابة على هذه التساؤلات اعتمدنا على خطة قسمت إلى: مقدمة، و مدخل، و ثلاثة فصول و خاتمة، مع احتوائها على مجموعة للملاحق و قائمة للمصادر و المراجع.

فتناولنا في المدخل مظاهر المناكر التي ظهرت في المجتمع المرابطي.

أما الفصل الأول فقد ورد بعنوان المهدي بن تومرت شخصيته و تكوينه، انطلاقا من مولده و نسبه هذا في المبحث الأول، ثم تلاه المبحث الثاني الذي تناولنا فيه دراسة لنشأة ابن تومرت، أما المبحث الثالث فقد خصصناه لرحلة ابن تومرت إلى المشرق.

في حين الفصل الثاني كان بعنوان الدعوة التومرتية، تطرقنا في المبحث الأول لعودة ابن تومرت من المشرق و بداية دعوته، و قمنا بدراسة لمفردات هذه الدعوة بتدعيمها بمجموعة من مؤلفات ابن تومرت في المبحث الثاني، أما عن المبحث الثالث فكان عن بيعة ابن تومرت.

أما الفصل الثالث و الأخير الذي جاء بعنوان مسار تأسيس دولة الموحدين تناولنا فيه تأسيس الجماعة الموحدية ضمن المبحث الأول، أما المبحث الثاني فتحدثنا فيه عن النشاط العسكري.

و في الأخير خرجنا بخاتمة تضمنت جملة من الاستنتاجات حول الموضوع.

و فيما يخص المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج التاريخي لطبيعة الدراسة التاريخية و المنهج الوصفي التحليلي.

و بالنسبة للمصادر و المراجع التي إستعنا بها و التي أثرت محتوى الموضوع فقد كانت متنوعة، فيما يخص ذلك اعتمدنا أكثر على:

1. أعز ما يطلب لمحمد ابن تومرت
2. أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيدق أخبار المهدي بن تومرت.
3. ابن القطان المراكشي نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان.
4. عبد الواحد المراكشي المعجب في تلخيص أخبار المغرب.
5. ابن خلدون كتاب العبر الجزء السادس.
6. ابن الأثير، الكامل في التاريخ الجزء التاسع.
7. الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية لمؤلف مجهول.
8. الزركشي تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية.

أما بالنسبة للمراجع فكان أهمها: عبد المجيد النجار في كتاب المهدي بن تومرت، و محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث عصر المرابطين و الموحدين في المغرب و الأندلس، هذا و رشيد بوروبية في كتاب ابن تومرت.

و قد واجهتنا في بحثنا هذا صعوبات تمثلت في: قلة المصادر و المراجع و بالتحديد فيما يتعلق بحياة ابن تومرت من حيث نشأته و رحلته، رغم كثرة ما كتب عنه في الجانب السياسي التاريخي. هذا بالإضافة ما ورد عن ابن تومرت في شخصيته و سيرته من تضارب و اختلاف في الروايات عند المتقدمين و المتأخرين و هذا ما أدى إلى صعوبة ترجيح رواية عن أخرى. و كذا اعتمدنا على كتاب البيذق الذي يعد من أهم المصادر المتعلقة بتاريخ الموحدين غير أن هذا المؤلف هو أحد الصحابة العشرة لابن تومرت، فيقف في كثير من الأحيان موقف المدافع عن المهدي.

مدخل:

مظاهر المناكر في المجتمع المرابطي:

كانت دولة المرابطين أثناء حكم علي بن يوسف:" امبراطورية كبرى تمتد من بجاية شرقا وإلى السوس الأقصى غربا، ومن السودان جنوبا إلى سرقسطة والثغر الأعلى في الأندلس شمالا، ويبدوا أن المرابطين أخذوا ينغمسون في الترف والرفاهية والرقة على مرور الأيام، فسادت الثقافة الأندلسية في مراكش".[1]

وأقبل رجال الأدب والعلم من الأندلس إلى بلاط الأمير في مراكش، غير أن هذا الإقبال على الترف ومظاهر الدنيا خفف من جفوة المرابطين وخشونتهم.[2] فلم يستطع المرابطون مقاومة مباهج الحضارة الأندلسية بكل مظاهرها ومفاتنها ولاسيما فن الغناء والموسيقى والطرب، وبهذا كانت بدأت مظاهر التفسخ الاجتماعي[3] والذي اتضحت معالمه في سفور النساء والمرابطيات حيث كانوا يخرجن سافرات في الأسواق والميادين في حين يتلثم الرجال، كانت أكثر ظهورا في مجال الحياة العامة وأعظم نفوذا وأشد حرية[4].

ويذكر لنا المراكشي في هذا الشأن:' واختلت حالت أمير المؤمنين – رحمة الله بعد الخمسمائة اختلالا شديدا فظهرت في بلاده مناكر كثيرة ... واستولى النساء على الأحوال

---

[1]– السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير العصر الإسلامي دراسة تارخية وعمرانية وأثرية، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 739

[2]–نفسه

[3]– حمدي عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998م، ص340.

[4]– نفسه، ص335.

وأسندت إليهن الأمور وصارت كل امرأة لمتونة ومسوفة مشتملة على كل مفسد وشرير وقاطع سبيل وصاحب خمر وماخور وأمير المسلمين في ذلك يتزيد تغافله".[1]

1- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين مع ما يتصل بتاريخ هذه الفترة من اخبار القراء وأعيان الكتاب، تحقيق محمد سعيد العريان،[د.م]، ص241.

وقد تمتع فقهاء المالكية بمنزلة كبيرة في بلاط"علي بن يوسف"، وأن ترتفع مكانتهم ويصبحون موضع المشاورة من أولي الأمر في كل شأن وأمر، بحيث تحكموا في إرادة الأمير وغدوا يسيطرون عليه ويتحكمون في تصرفاته، مع ضيق أفقهم وجمود أفكارهم،[1] حيث يروي المراكشي:

" وأشتد إيثاره لأهل الفقه والدين، وكان لا يقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء فكان إذا أولى أحدا من قضاته كان فيما يعهد إليه ألا يقطع أمرا ولا يبت حكومة في صغير من الأمور ولا كبير إلا بمحضر أربعة من الفقهاء، فبلغ الفقهاء في أيامه مبلغا عظيما لم يبلغوا مثله في الصدر الأول من فتح الأندلس".[2]

فكان من البديهي أن يحتل الفقهاء مكانتهم ضمن طبقة الخاصة فهم يعتبرون المنظرين والعارفين بأحكام الغنائم والخراج والجزية وغيرها من الأحكام الفقهية، وهم الذين يفتون بشرعية توجهات الأمراء المرابطين[3]، ويذكر المراكشي: " ولم يكن يقرب أمير المسلمين ويحظى عنده إلا من علم علم الفروع أعني فروع مذهب مالك...ثم يذكر: وقرر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيح علم الكلام وكراهة السلف وهجرهم من ظهر عليه شيء منه ولما دخلت كتب أبي حامد الغزالي-رحمة الله- المغرب أمر أمير المسلمين بإحراقها "[4]، فالفقهاء أهلتهم ثرواتهم المادية والعقارية لتصدر الهرم الاجتماعي، فهدفهم هو الاقبال

---

[1] -حمدي عبد المنعم محمد حسين، المرجع السابق، ص328.

[2] - عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص235.

[3] - إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، [د.ت]، ص143.

[4] - عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص236-237.

على جمع المال واستغلال الدين ومناصبهم لمصالحهم الشخصية"[1]، فصار الناس يتبعون المذهب المالكي بتقرير من الفقهاء الذين اختاروا للدولة المرابطية النمط العقدي الخادم لمصالحها[2].

---

[1]– عصام الدين عبد الرؤوفالفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، الإسكندرية، 1990م، ص260.

[2] – ديب صفية، التربية التعليم في المغرب و الاندلس في العصر الموحدين بين القر (6 و 7 هـ/ 12 و 13م)، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر، الجزائر، 2011، ص 32.

وعلى الرغم من تلك المكانة العظيمة التي بلغها فقهاء المالكية في عصر علي بن يوسف، فإن هذا العصر شهد أيضا تعرض الفقهاء لسخط العوام الذين انتقدوا أسلوبهم، وأيضا انتقاء بعض الشعراء لهم وهجوهم إياهم[1].

ويذكر المراكشي أن أبو جعفر أحمد بن محمد المعروف بابن البنى من أهل مدينة جيان من جزيرة الأندلس:

أهل الرياء لبستموا ناموسكم كالذئب أدلج في الظلام العاتم

فملكتموا الدنيا بمذهب مالك وقسطمتو الأموال بإبن القاسم

وركبتموا شهب الدواب بأشهب وبأصبغ صبغت لكم في العالم[2].

فهذه بعض مظاهر المناكر في المجتمع المرابطي التي أدت إلى إضعافه وإضطراب أحواله واهتزاز أسسه.

---

[1]- حمدي عبد المنعم محمد حسين، المرجع السابق، ص329.

[2]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص235.

الفصل الأول

المبحث الأول : مولده ونسبه

المبحث الثاني : نشأته.

المبحث الثالث : رحلة ابن تومرت إلى المشرق

المبحث الأول: مولده و نسبه

1- مولده:

ولد محمد بن تومرت ببلاد السوس، " أصله من هرغة من بطون المصامدة".[1]

وهي بلاد يسكنها بربر جفاة متقشفون في حياتهم وسذج يعتقدون كثيرا بتأثير القوى الخفية.[2]

ويقول عبد الواحد المراكشي في هذا الشأن: " ومحمد هذا رجل من أهل سوس مولده بها بضيعة منها تعرف بإيجلي أن وارغن*، وهو من قبيلة تسمى هرغة، من قوم يعرفون بأسرغينن، وهم الشرفاء بلسان المصامدة".[3]

وقبيلة مصمودة تعتبر أكبر قبائل المغرب الأقصى، بها بطون أهمها هرغة، هنتاتة، وتينملل، دكالة وهيلانة، حيث أنهم يشكلون أغلب سكانه.[4]

كما تعتبر هذه القبيلة أكثر قبائل القرن عددا وأشدها بأســـا، وأوفرها ثراء من بقية القبائل

---

[1]-عبد الرحمان بن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، دار الفكر، بيروت، 2000، ص 301.

[2]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج2، ص770.

* **إيجلي أقوارغن**: وهي قلعة حصينة في بلاد المصامدة من البربر بالمغرب في حيل درن منها مخرج محمد بن تومرت السمسودي الملقب بالمهدي،أنظر شهاب الدين أبي عبد الله الحموي الرومي، البغدادي، معجم البلدان، م1، دار صادر، بيروت، 1977، ص287- 288.

[3]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص245. و انظر: عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، شركة دار الأمة، الجزائر 2013م، ص 302.

[4]- محمود السيد، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، مؤسسة شهاب الجامعة الاسكندرية،2004، ص45.

الأخرى[1]، ولعل هذا من أهم العوامل التي أدت إلى نجاح الدعوة التومرتية.

ويصف لنا ابن خلدون أهل المصامدة فيقول: "... أمر هؤلاء المصامدة بجبال درن عظيما، وجماعتهم موفورة وبأسهم قويا، وفي أخبار الفتح من حروبهم مع عقبة ابن نافع وموسى بن نصير حتى استقاموا على الإسلام ...وفي عنفوان تلك الدولة على عهد علي بن يوسف منها نجم إمامهم العالم الشهير محمد بن تومرت".[2]

إذن فالمتفق عليه أن ابن تومرت ولد في أراضي قبيلة هرغة وهي بطن من بطون مصمودة، لأن أغلب الروايات تقول بهذا.

وبالنسبة لتاريخ ميلاد محمد بن تومرت فقد تضاربت الروايات حول تحديد ميلاده، فابن خلكان يقول:" ... وكانت ولادته يوم عاشوراء سنة خمس وثمانين وأربعمائة".[3]

ومنهم من يرى أنه ولد سنة 480هـ / 1087م بناءا على أنه رحل لطلب العلم قبل سن العشرين من عمره[4] أما ابن الأثير فإنه يذكر: "ثم مات المهدي وكان عمره إحدى وخمسين سنة، وقيل خمسا وخمسين سنة ومدة ولايته عشرين سنة"[5].

---

[1]-حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج4، دار الجيل، بيروت، ط15، 2001م، ص279.

[2]- عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص300-301.

[3]-ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، المجلد الخامس، دار صادر، بيروت، 1977م، ص53.

[4]-محمود السيد، المرجع السابق، ص45.

[5]-ابن الأثير، الكامل في التاريخ من سنة 489 لغاية سنة 561للهجرة، مراجعة وتصحيح: محمد يوسف الدقاق، المجلد التاسع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، ص201.

ومن هنا يمكن تحديد تاريخ مولده حوالي سنة 468هـ /1076م او 473هـ /1080م، لأن تاريخ الوفاة عادة ما يكون مضبوطا لدى المؤرخين، حيث نجد تاريخ وفاة المهدي محدد بسنة 524هـ فيكون عمره حين الوفاة متراوحا حسب اختلاف الروايات بين 50 و55 سنة فيكون إذا تاريخ ميلاده متراوحا بين سنة 469هـ و474 هـ.[1]

[1]– عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت: حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1983م، ص 33

2- نسبه:

لقد اختلف المؤرخون حول نسب ابن تومرت، ما إذا كان ينتسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، أو أن نسبه بربري، حيث أورد ابن القطان: " هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رباح بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم".[1]

أما في رواية ثانية له فإنه يحذف سفيان، وإدراج يحيى بين صفوان وعطاء، ويسار بن العباس بين رباح ومجمد، أما الثالث:" فهو محمد بن عبد الله بن وجليد بن يامصل بن حمزة بن عيسى بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب".[2]

أما ابن خلدون فإنه يورد ثلاث روايات مختلفة لنسب المهدي، فالأولى تختلف عن النسب الأول الذي أورده ابن القطان بتعويض محمد بن الحسن بن علي بمحمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي. والرواية الثانية تتفق مع ما أورده ابن القطان في النسب الثالث، أما النسب الثالث فيقول أنه: " محمد بن تومرت بن نيطاوس بن ساولا ابن سفيون بن الكلديس بن خالد".[3]

---

[1]- ابن القطان المراكشي، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ص87.

[2]-نفسه ، ص88.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص301.

أما المراكشي فيقول: " ولمحمد بن تورمرت نسبة متصلة بالحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب وجدت بخطة".[1]

وقد أثبت هذا النسب ابن رشيق في شجرة أنساب الخلفاء والأمراء.

أما ابن أبي زرع فينقل نفس الرواية فيقول: " فهو على ماذكره المؤرخون لدولتهم محمد بن عبد الله المعروف بتومرت ابن عبد الرحمان بن خالد...بن أبي طالب، وقيل هود عي في هذا النسب الشريف، ذكره ابن مطروح القيسي في تاريخه فقال هو رجل من هرغة من قبائل المصامدة يعرف بمحمد بن تومرت".[2]

هذا ونرى كثيرا من المؤرخين يميلون نحو تجريد ابن تومرت من نسبه النبوي، إذ يرونه قد اصطنع لنفسه نسبا في آل البيت، وأن الاعتقاد الذي كان شائعا هو المهدي المنتظر لا بد أن يكون من أهل البيت، ما يدل على ذلك ما ورد في إحدى رسائله إلى المرابطين حيث تبدأ من محمد بن عبد الله العربي القريشي الهاشمي الحسيني الفاطمي المحمدي إلى جماعة الملثمين الزراجنة الساكنين بالسوس ...[3].

ويؤيد هذا الرأي محمد بن عبد الله عنان بقوله أن كثيرا من القبائل البربرية التي تشق طريقها إلى السلطان، تحاول أن تنتحل الأنساب العربية، كما هو الشأن في بني حمود

---

[1]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص245.

[2]- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص172.

[3]- صالح يوسف بن قربة، أبحاث ودراسات في تاريخ وآثار المغرب الإسلامي وحضارته، دار الهدى، الجزائر، 2011م، ص107.

الذين يرجعون نسبهم إلى آل البيت، وقبيلة صنهاجة التي تزعم أنها تنتمي في الأصل إلى العرب اليمانية[1].

ومن خلال هذا نلاحظ أن المؤرخين قد انقسموا في مسألة نسب ابن تومرت، فطائفة أيدت صحة انتسابه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ومن هؤلاء المؤرخين نذكر ابن خلدون الذي قال: " فإن نسبه الطالبي وقع في هرغة من قبائل المصامدة ورسخت عروقه فيهم، والتحم بعصبتهم فلبس جلدتهم، وانتسب بنسبتهم وصار في عدادهم".[2]

وطائفة ثانية أنكرت نسبه إلى آل البيت، من أمثال ابن أبي زرع، أما الطائفة الثالثة والأخيرة فكانت على اعتدال، ومنهم عبد الواحد المراكشي.

[1]- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس القسم الأول عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1990م، ص 160.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، 301.

ولهذا كان من الصعب ترجيح رواية أحد المؤرخين على الأخرى، وبالرغم من هذا يبقى النسب الثالث الذي أورده ابن القطان هو أكثر الروايات تداولا واحتمالا عند معظم المؤرخين.

أما عن اسم محمد الذي ينسب إلى ابن تومرت فلم يكن محل اختلاف بين المؤرخين وزيادة على ذلك فإن بعضهم أورد الأمر في صيغة التأكيد فيقول ابن أبي دينار: ذكر المؤرخون أن المهدي اسمه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان ...، أما عن كنيته فبعض المصادر تذكر كنيته هي أبو عبد الله[1].

وقد لقب بتومرت حيث يقول المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال أن هذا الاسم، اسم لجدته وأنه انسب إليها، ويلقب أيضا بأمغاز ومعناه العالم أو الفقيه، ولقب كذلك بأسافو ومعناه السراج ويقال أن هذا اللقب أطلق عليه في شبابه بسبب إيقاده السرج في المساجد للقراءة على نورها في الليل[2].

ولم يطلق عليه اسم المهدي إلا حينما بايعه أصحابه حيث يقول ابن القطان:" المهدي، لقبه بذلك العشرة من أصحابه ساعة مبايعتهم له أول بيعة انعقدت له".[3]

---

[1]- عبد المجيد النجار ، المرجع السابق، ص23.

[2]- عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق حسين مؤنس، مكتبة الثقافة العربية، ط1، [د.م]، 1997، ص69.

[3]- ابن القطان المراكشي، المصدر السابق، ص88.

المبحث الثاني: نشأته:

نشأ ابن تومرت في أسرة من أواسط القوم، غير أنها أسرة متدينة، حيث قال ابن خلدون: " وكان أهل بيته أهل نسك ورباط".[1]

أما والد ابن تومرت فقد ذكرت بعض المصادر أن اسمه"عبد الله"، وله عدة ألقاب فهو عبد الله، وتومرت، والشيخ، وأمغاز، كان فقيرا ثم أيسر حاله عند مولد إبنه"محمد"، فكان كثير الاهتمام بولده، فلما توفي حزن عليه ابن تومرت حزنا شديدا[2].

أما أم ابن تومرت فكنيتها أم الحسين، وهي بنت "وابركن المسكالي" من بني يوسف، غير أنه لم يكن ابنهما الوحيد فإخوة ابن تومرت أبو موسى عيسى، وأبو محمد عبد العزيز، وأبو أحمد الكفيف، وأخته أم أبي بكر زينب[3].

أما عن دراسته قبل رحلته إلى المشرق، فهذه الفترة لم يتحدث المؤرخون عنها كثيرا، حيث أننا عرفنا أنه بدأ حياته العلمية بالتردد على الكتاتيب لحفظ القرآن الكريم، وقد جاء في تاريخ ابن خلدون: "وشب محمد هذا قارئا محبا للعلم، وكان يسمى أسافو، ومعناه الضياء لكثرة ما كان يسرج القناديل بالمساجد لملازمتها".[4]

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 301.

[2]- عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص35.

[3]- نفسه، ص36.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 301.

بينما يذكر ابن القطان: " وكان في صغره ملازما للمسجد ودرس لوحه، ليست له صبوة ولا شهوة".[1]

وبهذا فقد قضى ابن تومرت طفولته في حفظ القرآن الكريم.

ولقد كان زمن مكوث ابن تومرت في المغرب الأقصى قد امتد إلى نحو العشرين من عمره، فلابد أن يكون قد تعلم جزء من العلوم الفقهية، ومن الأرجح كذلك أن يكون قد أخذ بجملة من الأدب وعلوم اللغة، وهو ما يؤكده فصاحة لسانه ومن تضلع في اللغة العربية[2]، هذا بالرغم من أننا لم نعثر على أية دلائل تشير الى أن ابن تومرت قصد المراكز العلمية المهمة بالمغرب مثل مراكش وسبتة لطلب العلم، فهو غادر ايجلي متوجها إلى مراكش لكنه لم يلبث بها طويلا، بل كانت رغبته الشديدة هي التوجه إلى المشرق.

ولهذا لم نعثر على المعلومات الكافية لإزالة الغموض الذي اكتنف حياة ابن تومرت الدراسية الأولى.

---

[1]-ابن القطان المراكشي، المصدر السابق، ص90.

[2]- عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص60.

المبحث الثالث: رحلة ابن تومرت إلى المشرق

قبل الحديث عن رحلة ابن تومرت إلى المشرق يجدر بنا الإشارة إلى أهم الدوافع التي دفعته للقيام بها:

إن طلب العلم كان الدافع الأساسي لقيام ابن تومرت برحلته نحو المشرق، فالمشرق كان بالنسبة لأهل المغرب محط آمال الراغبين في العلم، ولهذا فقد وجد ابن تومرت من شغفه المبكر بالعلم دافعا للرحلة، خاصة وقد تناهت إلى المغرب أخبار شخصية علمية هي شخصية "أبي حامد الغزالي"، الذي جاء في فتواه ليوسف بن تاشفين بضم الأندلس إلى دولته[1].

ولا شك بأن الرغبة بالارتحال نحو المشرق قد تأججت في كيان ابن تومرت بعدما أخذ العلم من علماء متمسكين بالسنة، وما رآه في الأندلس من اهتمام متزايد بالمذهب المالكي، فكان تطلعه إلى توسيع معلوماته في مختلف العلوم.[2]

هذا بالإضافة إلى شوق كل مغربي إلى أداء فريضة الحج.

ولهذا فقد كانت الرحلة إلى المشرق في العرف المغربي عنصرا مهم في تكوين الشخصية العلمية، واكتساب الهيبة والاحترام، فازداد في نفسية ابن تومرت شوق إلى علوم المشرق

---

[1]- عبد المجيد النجار، تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت: الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس للهجري، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1981، تونس، ص58.

[2]- رشيد بورويبة: ابن تومرت، ترجمة: عبد الحميد حاجيات، كنوز للإنتاج والنشر والتوزيع، الجزائر، 2001م، ص25.

ومشايخه، وأمله في بلوغ مكانة مرموقة وشهرة علمية.[1]

فارتحال ابن تومرت كان في أواخر القرن الخامس أو أوائل القرن السادس، فقد أورد المراكشي: "ان ابن تومرت وكان قد رحل إلى المشرق في شهور سنة 501م وانتهى إلى بغداد"[2]، أما ابن خلدون فإنه يذكر: "فإنه ارتحل في طلب العلم إلى المشرق على رأس المائة الخامسة"[3]. أما البيذق فيرى بأن ابن تومرت رحلته بدأت في رأس المائة الخامسة أي سنة 500 او 501 هـ، بجوازه إلى الأندلس حيث تتلمذ على يد قاضي قرطبة أبي جعفر علي بن عبد العزيز بن حمدين*، وقد تصور بعض الباحثين أنه التقى هناك ببعض التيارات الفكرية، وعلى وجه الخصوص المدرسة الحزمية وكان له تأثر بها، فابن تومرت لم يطل بها المقام وأخذ طريق المشرق[4]، ذلك للتعرف على المناخ الفكري السائد هناك، وأمل لقائه لشخصية أبي حامد الغزالي.لأن الحملة التي قامت ضده في بلاد المغرب و كان على رأسها شيخة القاضي، بن حمدين، قد تركت شوقا في نفسه للقاء أبي حامد الغزالي.

---

[1]- عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، ص63.

[2]- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص245.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6ن ص 301.

*ابن حمدين: قاضي الجماعة بقرطبة (439هـ-508هـ) ، تفقه على أبيه، وعن أبي عبد الله محمد بن عتاب، فكان حافظا ذكيا فطنا، اديبا، شاعرا لغويا، اصوليا تولى القضاء بقرطبة في شعبان سنة 490هـ إذ تولاه بسياسة محمودة وسيرة نبيهة.

أنظر: سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، الموحدون مصامدة السوسالجباليون ورثة المرابطين، تأسيس الدولة وقيامها(500-558هـ/1100-1163م) ، ج5، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000م، ص130-131.

[4]- عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، ص67.

ويذكر الزركشي أن ابن تومرت لما غادر الأندلس قصد مدينة المهدية، فدرس على يد "أبي عبد الله المازري*"[1]

فيما ذهب مؤرخون آخرون إلى أنه انتقل مباشرة من ميناء المرية الأندلسي الى ميناء الإسكندرية.

ويبدو أن توجه ابن تومرت إلى المهدية في طريقه إلى الإسكندرية ليس أمرا مستحيلا، بناءا على أن العلاقات وخطوط المواصلات كانت أوثق بين المهدية والإسكندرية منها بين المرية والإسكندرية، أما عن التحصيل العلمي لابن تومرت عن المازري*فاقتصر حضور ابن تومرت لبعض دروسه فقط[2]. ولما نزل ابن تومرت بالإسكندرية أخذ العلم عن أبي بكر الطرطوشي**، حيث ذكر أبن الأثير: "واجتمع بأبي بكر الطرطوشي

---

[1]- الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966م، ص04.

[2]- عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، ص68.

* **الامام المازري**: وهو محمد بن علي بن عمر التميمي المازري، يكنى أبا عبد الله ويعرف بالإمام، أصله من مازر مدينة في جزيرة صقلية على ساحل البحر، أخذ عن اللخمي وغيره من شيوخ إفريقية، درس أصول الفقه والدين، سمع الحديث، واطلع على علوم كثيرة من الطب والحساب، والأدب وغير ذلك ألف في الفقه، والأصول، وشرح كتاب مسلم، وكتاب التلقين للقاضي أبي محمد عبد الوهاب، وشرح البرهان لأبي المعالي الجويني، وسماه إيضاح المحصول من برهان الأصول، توفي رحمه الله سنة ست وثلاثين وخمسمائة.

أنظر: الإمام القاضي إبراهيم بن نور الدين المعروف بإبن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق: مأمون بن يحيى الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م، ص375.

** **أبو بكر الطرطوشي**: هو محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري، المعروف بالطرطوشي، المكنى أبا بكر، ويعرف بأبن أبي زندقة، نشأ بالأندلس ببلدة طرطوشة، وهي مدينة آخر بلاد المسلمين بالأندلس، صحب القاضي أبو الوليد الباجي بسرقسطة وأخذ عنه، وتفقه عليه، ثم رحل إلى المشرق، وحج فدخل بغداد، والبصرة، وتفقه عن أبي بكر الشاشي وغيره من أئمة الشافعية، وسكن الشام، وبعدها رحل إلى الإسكندرية فكان إماما عالما زاهدا، ورعا دينيا متواضعا متقشفا، ألف تأليف حسنا منها تعليقه في مسائل الخلاف وأصول الفقه، وكتابه في البدع والمحدثات، وفي بر الوالدين، وغير ذلك، لازم التدريس، توفي رحمه الله تعالى بالإسكندرية في شهر شعبان سنة عشرين وخمسمائة. أنظر المصدر السابق، ص371-373.

بالإسكندرية"[1]، ويبدو أن المقام لم يطل بهذه المدينة حيث قصد مكة وأدى فريضة الحج، غير أن المؤرخ "ليفي بروفنسال" نفى أن يكون المهدي قد أدى فريضة الحج معتمدا على أنه لم يلقب فيما بعد بلقب الحاج، وهذا الرأي لا يميل إلى الصحة لأنه ورد ذكر أداء الحج لابن تومرت عند ثلاثة مؤرخين نذكر منهم: ابن خلدون: " ثم أجاز إلى الإسكندرية وحج"[2]. أما ابن خلكان فقال: "وحج وأقام بمكة مديدة وحصل طرفا صالحا من علم الشريعة والحديث النبوي وأصول الفقه والدين"[3].

هذا ولا يمكن أن نتصور مغربيا مشهور بالورع والتقوى كابن تومرت لا يؤدي فريضة الحج، وأن عدم اتخاذه لقب الحاج لا يعني بأية عدم حجه، فكثير من العلماء والفقهاء أدوا فريضة الحج ولم يلقبوا بالحاج، فابن تومرت كان يصبو إلى أسمى من ذلك وهو لقب الإمام المهدي[4].

وبعدها كانت وجهة ابن تومرت المدينة ثم دمشق ثم بغداد، فكانت كلها مراكز علمية مزدهرة تعج بالمدارس وبالتيارات الفكرية، و الفرق المذهبية فبغداد على وجه الخصوص كانت ثرية بالعلماء والفقهاء، فكان لها الأثر البالغ في التكوين الفكري لابن تومرت، حيث حرص على الاستفادة من علماء كثيرين في مختلف فنون المعرفة، وفي هذا الخصوص

---

[1]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص195.

[2]- إبن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص301.

[3]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص46.

[4]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص27.

يقول أبن خلدون: "... ودخل العراق ولقي جملة من العلماء يومئذ و فحول النظار، وأفاد علما واسعا".[1]

وقد تعدد العلماء الذين تتلمذ على يدهم ابن تومرت، حيث أنهم يمثلون أشهر العلماء في ذلك الوقت، ومن هؤلاء نذكر:

- والكيا الهراسي(ت 504هـ/1110م) ، كان عالما في الفقه والأصول والتفسير، وله في التفسير كتاب "أحكام القرآن"، وكذا المبارك بن عبد الجبار (ت500هـ/1106م)، الذي كان محدثا مكثرا إلا أن احتمال لقائه بابن تومرت ضعيف، لأنه يكون قد توفي في السنة التي قدم فيها ابن تومرت إلى بغداد،[2].
- أبو بكر الشاشي(ت507هـ/1113م) ، الذي كان عالما في أصول الدين والفقه، كما كان على رأس الأئمة الشافعية بالعراق، ألف كتابه الشهير "المستظهري" ثم نضيف إليهم كما ذكرنا آنفا أبا بكر محمد بن الوليد الطرطوشي(ت521هـ/1127م) ، الذي تتلمذ على يده المهدي بالإسكندرية وكان مبرزا في الفقه، متبحرا في السياسة الشرعية والتي ألف فيها كتاب سراج الملوك.[3]

و أما عن لقاء ابن تومرت بالإمام أبي حامد الغزالي فقد كان محل خلاف كبير بين المؤرخين، حيث صرح ابن الأثير بأن المهدي ابن تومرت لم يلتقي بالغزالي فقال: "... ووصل في سفره إلى العراق واجتمع بالغزالي والكيا واجتمع بأبي بكر الطرطوشي

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص302.

[2]- عبد المجيد النجار، تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، ص 61.

[3]- نفسه، ص 62.

بالإسكندرية. وقيل أنه جرى له حديث مع الغزالي فيما فعله بالمغرب من التملك، فقال له الغزالي إن هذا لا يتمشى في هذه البلاد ولا يمكن وقوعه لأمثالنا، كذا قال بعض مؤرخي المغرب والصحيح أنه لم يجتمع به فحج...".[1]

وهناك من المؤرخين من أثبت بصراحة لقاء ابن تومرت بالغزالي، فنجد الزركشي يقول: "ثم إنتقل إلى بغداد وأخذ عن الإمام الغزالي".[2]

بينما يقص ابن خلدون لقاء ابن تومرت بالغزالي فيروى:

"ولقي فيما زعموا أبا حامد الغزالي وفاوضه بذات صدره بذلك فأراده عليه لما كان فيه الإسلام يومئذ بأقطار المغرب من احتلال الدولة وتقويض أركان السلطان الجامع الأمة، المقيم للملة بعد أن سأله عمن له من العصابة والقبائل التي يكون بها الاعتزاز والمنعة، وبشأنها يتم أمر الله في ترك البغية وظهور الدعوة".[3]

فيقول عبد الله بن عبد الرحمن العراقي وهو شيخ مسن من سكان فاس، كان حاضرا عند لقاء ابن تومرت بالعزالي، فقال: "كنت ببغداد بمدرسة الشيخ الإمام أبي حامد الغزالي، فجاءه رجل، كث اللحية على رأسه كرزية صوف، فدخل المدرسة وأقبل على الشيخ أبي حامد، فسلم عليه، فقال ممن الرجل؟، فقال من أصل المغرب الأقصى فقال أدخلت قرطبة؟ قال نعم، قال: كيف فقهاؤها؟ قال: بخير، قال هل بلغهم كتاب الإحياء؟ قال: نعم، قال فماذا قالوا فيه: فصمت الرجل حياء. فعزم عليه ليقولن، فأطرق رأسه وأخبره

[1] – ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص195.

[2] – الزركشي، المصدر السابق، ص04.

[3] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص302.

بإحراقه وبالقصة كما جرت، قال: فتغير وجهه ومد يده للدعاء والطلبة يؤمنون عليه، مزق ملكهم كما مزقوه، وأذهب دولتهم كما أحرقوه، فقال أبو عبد الله بن تومرت السوسي الملقب بالمهدي أيها الإمام أدع الله أن يجعل ذلك على يدي، فتغافل عنه. فلما كان بعد أيام أتى الحلقة شيخ آخر على شكل الأول، فسأله الشيخ أبو حامد، فأخبره بصحة الخبر المتقدم، فدعا بمثل دعائه الأول، فقال له المهدي على يدي إن شاء الله فقال اللهم اجعله على يده، فهذه الرواية تقول بأن ابن تومرت درس على الإمام الغزالي و أخبره بحرق كتابة إحياء العلوم [1]

لكن هناك من يفند قصة عبد الله العراقي، على أساس أن قرار المرابطين بحرق كتاب الإحياء قد صدر لأول مرة في سنه 503 هـ، وذلك حسب ما يخبرنا ابن القطان، أي بعدما غادر الغزالي بغداد إلى نيسابور لآخر مرة أي قبيل وفاته بنحو عام.[2]

وأن الغزالي لم يذكر ابن تومرت سوى مرة واحدة في كتاب 'سر العالمين وكشف ما في الدارين"، فقد قال: "فأول ما استحسنه وقرأه علي بالمدرسة النظامية سرا من الناس في النوبة الثانية بعد رجوعي من السفر رجل من أرض المغرب يقال له محمد بن تومرت ... وتوسمت منه الملك ...'، الا أن هذا الكتاب مشكوك في نسبه للغزالي[3].

---

[1]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص29. انظر شاكر مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامي و رجالها، ج2، دار العلم للملايين، بيروت، 1993م، ص 931.

[2]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص162.

[3]- عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، ص75.

وبالرغم من هذا يظهر تأثر ابن تومرت بالغزالي في كثير من آرائه، وفي جوانب من منهجه الفكري، وخاصة في العلوم العقلية كالأصول والمنطق[1].

ولهذا فمن المسلم به تأثر ابن تومرت خلال دراسته بالمشرق عشر سنوات بالنظريات المشرقية في علوم الكلام والأصول والسنة، حيث يقول ابن خلدون: "وكان قد لقي بالمشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة وأخذ عنهم واستحسن طريقتهم في الانتصار للعقائد السلفية والذب عنها بالحجج العقلية الدافعة في صدر أهل البدعة، وفي تأويل المتشابه من القرآن والحديث".[2]

وأما فيما يتعلق بتأثير الغزالي فكما ذكرنا آنفا، فإنه يظهر في آراء ابن تومرت من المعارضة للتقاليد الدينية الكائنة بالمغرب، فكانت المعارضة تعكس في صور كثيرة ما كان قائما في نظرية الغزالي الكلامية وبعض النظريات الأخرى بالمشرق.[3]

أما في مكة كما ذكر لنا ابن خلكان فانه حصل على قدر سالما سن علم الشريعة والحديث النبوي وأصول الدين الفقه، و أصول الدين.

ومن خلال هذا يبدو أن المهدي بن تومرت تلقى بالمشرق علوما متنوعة تجمع بين العقلي والنقلي، وذلك على طبقة من العلماء من الدرجة الأولى في الحفظ والتحرر والتأصيل، ولما أحس بأنه حصل بغيته من العلم طيلة عشر سنوات أخذ طريق العودة إلى المغرب.[4]

---

[1]- عبد المجيد النجار ، المهدي بن تومرت، ص83.

[2]-ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص302.

[3]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص164.

[4]- عبد المجيد النجار ، تجربة الإصلاح في حركةالمهدي بن تومرت، ص62.

الفصل الثاني: الدعوة التومرتية

المبحث الأول: عودة ابن تومرت من المشرق وبداية دعوته.

المبحث الثاني: مفردات الدعوة التومرتية.

المبحث الثالث: ابن تومرت من الدعوة إلى البيعة.

المبحث الأول: عودة ابن تومرت من المشرق وبداية دعوته:

بدأت رحلة العودة لابن تومرت من المشرق سنة 510هـ حيث يقول ابن أبي زرع في هذا الشأن: "وكانت رحلته عن بلاد المشرق في أول يوم من ربيع الأول المبارك من عام عشرة وخمسمائة (الجمعة 14 يوليوز 1116م) ...".[1]

ويذكر لنا الزركشي تاريخا لوصول ابن تومرت فيقول: ' فتوجه إلى المغرب بعد أن أقام بالمشرق خمسة أعوام –وقيل بأفريقية–سنة أربعة عشرة وخمسمائة".[2]

فاستغرقت رحلة العودة لابن تومرت من المشرق ما لا يقل عن أربعة أعوام وليس ذلك بغريب بالنظر إلى تلك الأحداث التي تخللت هذه الرحلة كما سنقف عليه، أما ما لا نعرفه على وجه الضبط هو المكان الذي انطلق منه في عودته، فمن المحتمل أن تكون مكة حيث أنه سيختم إقامته بالمشرق بحجة أو عمرة.[3]

مدركا خطر الحالة التي عليها العالم الإسلامي، وقدر أن علاجها ليس فى تأسيس إمارة أو مملكة بل في إنشاء خلافة إسلامية عامة.[4]

ولعل أول مدينة أظهر فيها ابن تومرت نشاطه الإصلاحي الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر هي مكة ذاتها، فأصابه بها من المشاق ما دفعه إلى مغادرتها والتوجه إلى مصر،

---

[1]– ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 173.

[2]– الزركشي، المصدر السابق، ص04.

[3]– عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، ص86.

[4]–محمد المنوني، حضارة الموحدين: دار توبقال للنشر، المغرب: 1989، ص12.

حيث حل بالإسكندرية.[1]

1- **في مصر**: وكانت مصر هي المرحلة الأولى من طريق عودة ابن تومرت، حيث عاد للإقامة بالإسكندرية، وأخذ الدروس على يد معلمه أبو بكر الطرطوشي وبها وجد آذانا صاغية، حيث تمكن من أن يكسب إلى جانبه واحدا و خمسون رجلا ولكنهم لم يصحبوا ابن تومرت لما غادر الإسكندرية متوجها إلى المغرب.[2]

وعند نزوله بالإسكندرية رأى بها مناكر كثيرة مما جعله يعمل على تغييرها بالعنف والشدة لذلك قامت الغوغاء والعامة على ابن تومرت وصاروا يقطعون عليه الطريق إلى مجلس أبي الطرطوشي[3]. ويذكر في هذا الشأن المراكشي: " أن ابن تومرت جرت له وقائع في معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أفضت إلى أن نفاه متولي الإسكندرية عن البلاد".[4]

فسار ابن تومرت إلى بلاد المغرب على متن سفينة سنه 510هـ/1117م، مستمرا كعادته في السفينة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيقول السلاوي: " فخرج من الإسكندرية وركب البحر متوجها إلى بلاده وكان قد رأى في منامه وهو في بلاد المشرق

---

[1]-رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص33.

[2]- نفسه.

[3]- هشام ابو رميلة، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدولة الإسلامية في الأندلس، دار الفرقان، الأردن، 1984م، ص32.

[4]- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص246.

كأنه شرب ماء البحر جميعه كرتين، فلما ركب السفينة شرع في تغيير المنكر على أهل السفينة وألزمهم إقامة الصلوات وقراءة أحزاب من القرآن العظيم".[1]

ولكن بعض الروايات تذهب إلى أن أهل السفينة غضبوا من ابن تومرت فألقوه في البحر، فأقام أكثر من نصف يوم يجري في الماء ولم يصبه شيء، ولما رأى ركاب السفينة ذلك أنزلوا إليه من أخذه من البحر، وعظم في صدورهم، ولم يزالوا مكرمين له إلى نهاية السفر[2].

ويبدو بكل وضوح أن هذه الرواية من أحد دعاة الموحدين المفتونين بابن تومرت، الذين يخترعون له الكرامات المعجزة، على نحو من مشى ابن تومرت عل صفحة الماء أكثر من نصف يوم متابعا السفينة سائرا فوق ما تخلفه وراءها من موج صاخب وهو لم يصب بسوء، ولكن إذا استبعدنا الجزء الأسطوري من هذه الرواية، فإننا نلتقي فيما يقرره المؤرخون عامة من أنه وعظ أهل السفينة بأن يؤدوا الصلاة وأن يكفوا عن شرب الخمر، فشاغبوه ثم أكرموه[3].

2-ابن تومرت في المغرب الأدنى:

نرى المؤرخين يختلفون في تعيين أول بلد مغربي نزل به ابن تومرت حين غادر السفينة، فقد جعلها ابن خلدون مدينة طرابلس حيث قال: " وأحل بطرابلس أول بلاد المغرب معنيا

---

[1]- السلاوي أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الدولتان: المرابطية والموحدية، ج2، تحقيق محمد الناصري، جعفر الناصري، الدار الكتاب للنشر ؛ الدار البيضاء، 1954م، ص72.

[2]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص33.

[3]- عبد الله علي علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م، ص54-55.

بمذهبه ذلك مظهرا النكير على علماء المغرب في عدولهم عنه، آخذا نفسه بتدريس العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما استطاع، حتى لقي بسبب ذلك أذيات في نفسها احتسبها من صالح عمله" [1]. غير أننا لم نضفر بأي تفصيل عن نشاطه بهذه المدينة، غير أنه قد يكون اتخذ من أحد مساجدها مقرا له، يدرس العلم ويفتي الناس.ثم انتقل إلى المهدية وقد نزل ابن تومرت بها في مسجد رفقه ثلاثة من أتباعه رافقوه في رحلته، هم: الحاج يوسف الدكالي، الحاج عبد الرحمن وأبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق[2]. يذكر الزركشي: "ومر بالمهدية فغير المنكر بها وذلك في مدة علي بن يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجي صاحبها – وله بمدينة الزويلة مسجد يعرف باسمه".[3]

وتضاربت الروايات حول مغادرة ابن تومرت المهدية، هل من تلقاء نفسه أو مكرها؟فقد ذكر ابن قطان أن الأمير علي بن يحيى بن تميم غيظ بذلك عليه ووجه إليه المازري الفقيه الذي نصحه بمغادرة المدينة، ولذا فابن تومرت أكره على مغادرة المدينة، لأنه أراد أن يحمل أهلها على بناء رباط يعبدون الله فيه وفق مذهب جديد في التوحيد.[4]

أما ابن خلكان فإنه ذكر على عكس ذلك: ولما وصل إلى المهدية نزل في مسجد معلق، وهو على الطريق وجلس في طاق شارع إلى المحجة ينظر إلى المارة فلا يرى منكرا من آلة الملاهي أو أواني الخمر إلا نزل إليها وكسرها، فتسامع به الناس في البلد فجاؤوا اليه،

---

[1]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، 302.

[2]– السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج2، ص772.

[3]– الزركشي، المصدر السابق، ص4.

[4]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص38.

وبلغ خبره الأمير يحيى، فاستدعاه مع جماعة من الفقهاء فلما رأى سمته وسمع كلامه أكرمه وأجله وسأله الدعاء فقال له: أصلحك الله لرعيتك[1].

وبعدا اتجه ابن تومرت إلى مدينة المنستير مع جماعة من الصالحين مدة[2]، فأقام بها بضعة أيام ثم رحل إلى تونس، وأخذ يعرف الناس هناك بالسنة وأصول الدين، وبعد خمسة عشرة يوم حضر المهدي في صلاة الجمعة جنازة لم يصلي عليها فنظر الإمام إلى جنازة من وراء الناس فقال لهم: لما لا تصلون على هذه الجنازة؟ قالوا له: هو يهودي وكان يصلي فقال: أفيكم من يشهد له بالصلاة؟ فقال الناس: من كل جانب ومكان فقال لهم: قد شهدتم له بالإيمان، ثم أمر من يقيم الصفوف، فصلى عليه ثم دعا بالفقهاء وعرفهم بالسنة وبين لهم الكتاب العزيز، فأخذوا عنه العلم أياما عديدة.[3]

3-ابن تومرت في المغرب الأوسط:

ثم خرج المهدي مع رفاقه الثلاثة الحاج يوسف الدكالي، الحاج عبد الرحمن وأبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق إلى أن وصلوا إلى قسنطينة فنزل بها عند الفقيه عبد الرحمن الميلي ويحيى ابن القاسم، عبد العزيز بن محمد، وكان يحكمها في ذلك الوقت سبع بن العزيز، فأقام بها عدة أيام.[4]

---

[1]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، 47.

[2]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص195.

[3]- أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق، أخبار المهدي بن تومرت، تقديم وتحقيق وتعليق: عبد الحميد حاجيات، موفم للنشر، الجزائر، 2011م، ص30.

[4]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج2، ص773.

وأقبل الطلبة إليه يقرؤون عليه فلما سمع صوت منادي هذا جزاء الحلال سئل عن هذا فقالوا له: هذا يأخذ أموال الناس ويدخل عليهم ليقتلهم، فقال: ليس عليه سياط، إنما عليه القتل، ولكن يجزيه ذلك الضرب، وقد استنكر على الناس ضربهم أحد الأشخاص لسرقة اقترفها فقال: يا قوم، تركتم الشرع إنما يجب عليه قطع اليد، ثم قال للسارق: تب، فتاب على يده بعد أن علمه من شروط التوبة وبينها له.[1]

وبذلك ازدادت شهرته وتحادث الناس بعلمه وبعد ذلك غادر هذه المدينة.

فدخل بجاية نزل بها بمسجد الريحانة، وجرى فيها على نفس أسلوبه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان يقوم بدعوته بلا كلل، حتى وقعت ذات يوم بسبب تشدده في إزالة المنكر، ضجة وشعب، وكان والي البلدة العزيز بن المنصور بن حماد الصنهاجي، رجلا فظا قاسيا، فسخط عليه وخاصة، وأراد البطش به.[2]

ويفصل لنا ابن القطان بعض ما فعله ابن تومرت لإزالة المنكر ببجاية، وبعض ما كان بها من المناكر والبدع، فيقول: "لما دخل بجاية لقي به الصبيان في زي النساء بالضفائر والأخراس والزينة وشواشي الخز، وألفى الأرذال قد فتنوا بذلك وانهمكوا. فغير المنكر وأزال ذلك الزي مستطاعه، ثم حضر عيدا، فرأى فيه من اختلاط الرجال بالنساء والصبيان المتزينين المتكحلين ما لا يحل، فزجرهم وغير ذلك فوقعت لأجل ذلك نفرة استطال فيها

---

[1]- البيذق، المصدر السابق، ص31.

[2]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص165.

الشر، وسلب النساء حليها وقام الهرج"[1]، فسأل العزيز عن سبب ذلك فعرف بأنه الفقيه السوسي، ووجد المشنعون سبيلا إلى القول فيه فأوغروا عليه قلب العزيز، فأمر بجمع الطلبة لمناظرته في جرأته على الملوك، فاجتمعوا في دار أحدهم على طعام وشراب، واستدعى ابن تومرت للحضور فأبى، فقصد إليه الكاتب عمر بن فلفول فلاطفه حتى قبل المناظرة واجتمع بالطلبة وسألوه فأجابهم عن كل ما سألوه، فسألهم فما استطاعوا الإجابة عن شيء، وتضرع إليه ابن فلفول عندئذ بأن يترك ما هو بسبيله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2].

ويذكر البيذق ان ابن تومرت كان ينهى الناس عن الاقراق الزرارية وعمائم الجاهلية ولباس الفتوحيات للرجال، ولما كان يوم الفطر اختلط الرجال والنساء فلما رآهم الإمام دخل فيهم بالعصى يمينا وشمالا حتى بددهم، ولما رآه ابن العزيز يفعل ذلك قال له: يا لا تأمر السوقة بالمعروف وهم لا يعرفونه فإني أخاف أن يأمروا فيك وتهلكهم.[3]

وبهذا واصل ابن تومرت نشاط الوعظ وتغيير المنكر ببجاية، لكن ما كان ينتج عن ذلك من اضطرابات وهرج، أدى إلى طرده من عاصمة بني حماد، فالتجأ إلى ملالة، وهي قرية صغيرة تقع على بعد خمسة كلم جنوب غربي بجاية[4].

---

[1]- ابن القطان المراكشي، المصدر السابق، ص93.

[2]- نفسه، ص94.

[3]- البيذق، المصدرالسابق، ص31.

[4]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص42.

ويذكر لنا ابن خلدون بقوله: " فخرج منها خائفا ولحق بملالة على فرسخ منها، وبها يومئذ وريا كل من قبائل صنهاجة، وكان لهم اعتزاز ومنعة، فآووه وأجاروه وطالبهم السلطان صاحب بجاية بإسلامه إليه فأبو وأسخطوه".[1]

واستطاع بملالة أن يواصل إلقاء دروسه في أمن بني العزيز القاطنين بالمنطقة، وأدت علاقته الطيبة مع الفقهاء إلى أن بنوا له مسجد اتخذه مقرا وأصبح مدرسة تستقطب الطلبة من كل مكان لعده أشهر[2].

*** لقاء ابن تومرت بعبد المؤمن بن علي:**

إن اللقاء التاريخي الذي جمع ابن تومرت بعبد المؤمن في ملالة يعتبر واحدا من أهم الأحداث في رحلة عودة المهدي من المشرق، ويظهر اهتمام المؤرخين بهذا اللقاء من خلال ما أضفاه بعضهم عليه من طابع أسطوري، ولقد أكد المؤرخون أن ابن تومرت كان على علم بحدوث أمر بملالة، يكون له تأثير هام في حياته، حيث يروي البيذق لنا بقوله أن ابن تومرت قال: "الحمد لله على كل حال، قد بلغ وقت النصر، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، يصلكم غدا طالب، طوبى لمن عرفه وويل لمن أنكره"[3]. وهنا تأتي الأسطورة القائلة أن ابن تومرت كان قد إتطلع من علوم أهل البيت من كتاب يسمى الجفر وأنه رأى فيه صفة رجل يظهر بالمغرب الأقصى بمكان يسمى السوس، وهو من ذرية الرسول صلى الله عليه وسلم، يدعوا إلى الله، يكون مقامه ومدفنه بموضع من

---

[1]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص302.

[2]– عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، ص91.

[3]– البيذق، المصدر السابق، ص32.

المغرب يسمى باسم هجاء حروفه(ت ي ن م ل) ورأى فيه أيضا أن استقامة ذلك الأمر تمكنه يكون على يد رجل من أصحابه هجاء اسمه(ع ب د م و م ن) ويجاوز وفته المائة الخامسة للهجرة[1].

ويروي لنا قصة هذا اللقاء أحد مرافقي ابن تومرت وهو البيذق الذي يقول: لما دخل عبد المؤمن إلى المسجد قال له المعصوم: أدن يا شاب، فسأله عن اسمه، فقال: عبد المؤمن، فقال له المعصوم: وأبوك علي، فقال: نعم، فتعجب الناس، ثم قال له يا شاب من أين إقبالك؟ قال له من نظر تلمسان من ساحل كومية، فقال له المعصوم: أين تريد يا فتى؟ فقال يا سيدي نحو المشرق ألتمس فيه العلم فقال له العلم الذي تريد اقتباسه قد وجدته بالمغرب.[2]

ونجد أن هذه الرواية ذكرها أغلب المؤرخين، ولكن إنفراد ابن اللقطان برواية ثانية ومفادها أن عبد السلام التونسي أحد كبار فقهاء تلمسان والمدرس بجامعها ترك بعد وفاتها فراغا كبيرا أحس به الطلبة فاستدبوا عبد المؤمن بن علي للقيام بمهمة استقدام ابن تومرت من بجاية بعد ما شاع خبره ليستخلف التونسي.[3] وهكذا أورد المؤرخون قصة هذا اللقاء، ورغم أن رواياتهم مختلفة وأن الجمع بينهم لا يؤدي إلى تناقض.

---

[1]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص48.

[2]- البيذق، المصدر السابق، ص35.

[3]- عز الدين ميدون، عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي الجزائري: مؤسس الدولة الموحدية، دار السبيل الجزائر، 2011م، ص194.

وينتمي عبد المؤمن بن علي إلى قبيلة كومية التي تسكن جهة تلمسان، وقد تعلم القرآن بقريته تاجرا، ثم انتقل إلى تلمسان ليدرس بجامعها الذي كان مركزا دينيا للعبادة ومدرسة لتعليم الدروس الدينية واللغوية، وهكذا شب عبد المؤمن محبا للعلم. وذكر ابن خلدون أن من أساتذته بتلمسان ابن صاحب الصلاة وعبد السلام التونسي.[1]

ويمكننا القول أن أدرك أن يعتزمه من عمل المستقبل يحتاج إلى عناصر من الرجال الأقوياء يساعدونه على القيام به، وقد تبين بعد الاختبار والفحص أن عبد المؤمن هو أحد تلك العناصر الصالحة لإعانته وشد أزره.[2] هذا ما ذكره ابن الأثير بقول: "... فرأى فيه من النجابة والنهضة ما تفرس فيه التقدم والقيام بالأمر".[3]

واستقرار رأي عبد المؤمن على البقاء مع ابن تومرت، فقضى أشهر يقرأ عليه بملالة، وكان أكثر الطلبة فهما، ثم رحل ابن تومرت نحو المغرب الأقصى[4].

1- ابن تومرت في المغرب الأقصى:

خرج ابن تومرت من ملالة مع جملة من رفاقه المخلصين من بينهم عبد المؤمن متجهين إلى المغرب الأقصى، وفي الطريق كان يضم إليه بين الحين والآخر عناصر من الرجال الذين يلمح فيهم النجابة والكفاءة فيضمهم إلى جماعته[5].

---

[1]- صالح بن قربة، عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991، ص08.

[2]- عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، ص94.

[3]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص196.

[4]- السيد عبد العزيز بن سالم، المرجع السابق، ج2، ص776.

[5]- عبد المجيد النجار، تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، ص63.

ويذكر لنا البيذق أن ابن تومرت دعا براحل والدة يرزيجن بن عمر المكنى بعبد الواحد الشرقي وقال لها تتركين ابنك يسير معنا فقالت له: يسير حيثما حملته إذا أراد فسار، فخرجنا حتى وصلنا متيجة وكان مبيتنا بها عند جبارة بن محمد، ثم خرجنا من عنده نحو الأخماس ولما دخلناها وجد فيه المعصوم مسجدا مهدوما فأمر ببنيانه، ثم منها نحو مليانة، ثم منها نحو ونشريس فنزلنا بالحضرة، فوجدنا بها عبد الله بن محسن الوانشريسي المكنى بالبشير.[1]

ثم لحق بتلمسان وقد تسامع الناس بخبره فأحضره القاضي بها ابن صاحب الصلاة ووبخه على منتحله ذاك وخلافه لأهل قطرة، وظن أن من العدل نزعه عن ذلك[2] فقاضي تلمسان ابن صاحب الصلاة أنبه ابن تومرت مسلكه، ومخالفته لعقائد أهل قطرة، وطلب إليه العدول عن دعوته، فأعرض عنه ابن تومرت وسار مع صحبه إلى فاس[3]. ولما دخلها ابن تومرت نزل بمسجد ابن الخنام ثم رحل منه إلى مسجد ابن الملحوم، ثم منه إلى مسجد يعرف بطريانة، حيث قام به يدرس العلم، ويقف بصراحة في وجه فقهاء المالكية، فهرع إليه طلبة فاس، وأراد ابن تومرت أن يخمد البدع حيث خرج بسبعة نفر من طلبته يحملون

[1]- البيذق، المصدر السابق، ص37-38.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، 303.

[3]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص166.

المقارع إلى زقاق بزقالة ففرقهم على الحوانيت، آمرا إياهم بتكسير ما كان فيها من آلات اللهو.[1]

وكان لأعماله هذه ردود فعل تراوحت بين الامتنان وبين الحقد عليه ومحاولة إخراجه حيث شكى أرباب الحوانيت إلى قاضيهم "عبد الحق بن معيشة" فقال لهم هذا: لولا ما رأى في السنه ما كسرها، مروا فإنكم مخالفون للحق، أما والي المدينة فجمع نفر من الفقهاء لمناظرته، فأشار الفقهاء على الوالي إخراجه، فأخرجه الوالي حتى لا يفسد عقول العوام[2].

وبعد مغادرة ابن تومرت مدينة فاس نزل بمغيلة عند يوسف ابن محمد، وعبد الرحمن بن جعفر، ثم منها نحو مكناسة التي سار فيها إلى السوق القديم ونزل فيها مع رفاقه بمسجد أبي تميم عند الحسن بن عشرة، وكان طلبة مكناسة يأتونه لأخذ العلم ثم خرجوا من مكناسة وصولا إلى خميس فنزارة فنزلوا عند عبد السلام بن عيشوش منها نحو سلا[3]. حيث أقام بها أياما عديد ثم أسر أصحابه بالرحيل نحو مراكش فذكر الزركشي في هذا الشأن، "الحق بمراكش في منتصف ربيع الأول عام خمسة عشرة وخمسمائة وأقام بها ولقي أميرها علي ابن يوسف اللمتوني بالمسجد الجامع في صلاة الجمعة فوعظه وأغلظ

---

[1]- جمال أحمد طه، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين 448هـ/1056م إلى 668هـ/1269م دراسة سياسية حضارية، دار الوفاء الإسكندرية، 2001م، ص 95.

[2]- نفسه، ص96.

[3]- البيذق، المصدر السابق، ص 45.

له القول[1]. وبقي ابن تومرت على عادته يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فكثر أتباعه بمراكش" ويروي لنا ابن الأثير: "فبينما هو في بعض الأيام في طريقه إذ رأى أخت أمير المسلمين في موكبها ومعها من الجواري الحسان عدة كثيرة وهن مسفرات، وكانت هذه عادة الملثمين يسفر نساؤهم وجوههن و يتلثم الرجال فحين رأى النساء أنكر عليهن وأمرهن بستر وجوههن وضرب هو وأصحابه دوابهن فسقطت أخت الأمير عن دابتها.[2] فدخلت الأميرة على أخيها باكية لما نالها، ففاوض الفقهاء في شأنه بما وصل إليه من شهرته وكانوا ملئوا به حسدا وحفيظة لما كان ينتحل مذهب الأشعرية في تأوي المتشابه وينكر عليهم جمودهم على مذهب السلف في إقراره كما جاء ... فمال الرأي فأغرو الأمير به فأحضره للمناظرة[3].

وكان من كبار الفقهاء الذين حضروا المناظرة "مالك بن وهيب" الأندلسي وكان على علم بأصول الفلسفة وعلم الكلام، ثم قال أمير المسلمين اختبروا الرجل فإن كان سالما إتبعناه و إلا أدبناه، فدارت بينهم محاورة ومذاكرة أسكتهم فيها وبان عجزهم عنه، فأغروا به أمير المؤمنين[4]، ولما سمع مالك بن وهيب كلام ابن تومرت استشعر حدة نفسه وذكاء خاطره واتساع عبارته، فأشار على أمير المسلمين بقتله، وقال هذا رجل مفسد لا تأمن غائلته ولا يسمع كلامه أحد إلا مال اليه وإن وقع هذا في بلاد المصامدة ثار عليها منه شر كبير،

---

[1]- الزركشي، المصدر السابق، ص05.

[2]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص196.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص303.

[4]- السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص82.

فأبى أمير المسلمين، فعاود وأشار عليه بسجنه حتى يموت فقال له: علام تأخذ رجل من المسلمين نسجنه ولم يتعين لنا عليه حق[1].

وكان رجل من عيون المرابطين يسمى:" بينان بن عثمان" نصح أمير المسلمين بإخلاء سبيل ابن تومرت وإخراجه من مراكش فقال: ماذا يقال عنك في البلاد، أتسجن رجلا يعرف الله، وهو أعرف أهل الأرض به فترك سبيله وأخرج من مراكش.[2]

ومن هذه المناظرة أدرك ابن تومرت ضعف حكم المرابطين، هذا ما زاد من عزيمته للمضي قدما في دعوته.

فخرج ابن تومرت من مراكش وبنى خيمة بالجبانة بين القبور بقرب المدينة وقعد بها، فكان يأتيه بعض الطلبة فيقرؤون عليه ويأخذون عنه حتى كثر عليه الجمع، فامتلئت قلوبهم محبة ومهابة، وأخذ يطعن على المرابطين ويقول هم كفرة مجسمون، وغزوهم واجب وتابعه على ذلك ما يزيد على ألف وخمسمئة فرفع خبره للأمير فبعث إليه فقال له: أيها الرجل إتق الله في نفسك ألم أنهك ... فقال: قد امتثلت لأمرك وبنيت خيمة بين الموتى[3].

فلما خرج محمد من عند الملك قال لهم: لا مقام لنا بمراكش مع وجود مالك بن وهيب وإنا

---

[1]- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص253- 254.

[2]- عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، ص100.

[3]- ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 175.

لنا بمدينة أغمات* أخا في الله ... واسم هذا الشخص عبد الحق إبراهيم، وهو من فقهاء المصامدة، فخرجوا إليه ونزلوا عليه، وأخبرهم محمد خبرهم وأطلعه على مقصدهم وما جرى لهم عند الملك، فقال: هذا الموضع لا يحميكم وإن أحصن المواضع المجاورة لهذا البلد تينمل*، وبيننا وبينها مسافة يوم في هذا الجبل، فقصده مع أصحابه.[1]

أما ابن خلدون، فإنه يرى عكس ذلك، أن ابن تومرت اضطر إلى مغادرة تلك المدينة، لأن أهلها أغروا به علي بن يوسف فيروي: " وطيروا إليه بخبره فخرج عنها، ... ودعا إسماعيل بن أيكيك من أصحابه، مائتين من أنجاد قومه، وخرج به إلى منجاة من جبال المصامدة." [2]

وعن تنقلات ابن تومرت من أغمات فيروي لنا البيذق ذلك فيقول: أن المهدي توجه إلى بلاد أيجلوان فلما وصلها وصل رسول علي بن يوسف أن يؤتى به فقال له إسماعيل إيجيج: يا فتيه اهدأ في موضعك حتى أصل إليك، فسار ثم أقبل إلينا بمائتي: ورفه من

---

* - أغمات: ناحية من بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراكش، وهي مدينتان متقابلتان كثيرة الخير، ومن ورائها إلى جهة البحر المحيط السوس الأقصى بأربع مراحل ومن سجلماسة ثماني مراحل نحو المغرب، وقد تداولتها عده دول منها دولة الملثمين، ثم عبد المؤمن وبنوه، وينسب إليها أبو هارون موسى بن عبد الله بن إبراهيم الأغماتي المغربي، أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص225.

* تينمل: تِيْن مَلّ، الميم مفتوحة، واللام الأولى مشددة مفتوحة: جبال بالمغرب بها قرى ومزارع يسكنها البرابرة، بين أولها ومراكش سرير ملك بني عبد المؤمن اليوم، نحو ثلاثة فراسخ، بها كان أول خروج محمد بن تومرت المسمى بالمهدي الذي أقام الدولة، ومات فصارت لعبد المؤمن ثم لولده. أنظر المصدر نفسه، ج2، ص69.

[1]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص 50-51.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص303.

بني عمه، وحملنا و الإمام معنا نحو أيسمناي في متاع هزرجة، ثم منها لموضع آخر يسمى اتيفرامتاع آيمسفيوا فبنى بها مسجدا، ثم منها نحو آنسامتاع وريكة وقضى هناك فصل الشتاء، ثم ارتحل منها إلى تيفتوت متاع هنتاتة[1]، حيث استقبل من طرف أحد رؤسائها " فاسكات بن يحي، غير أن المهدي لم يطل المقام بها إذ لم يكن في مأمن من السلطان المرابطي، فتابع سيره، و مربتادرارت، حيث بنى مسجد الأهم وارتحل نحو بني واوزجيت إلى دار واخليف، فوعظهم فاستجابوا له.[2]ويذكر البيذق سائر الأماكن التي مر بها المهدي ورفاقه تينفيتين، ثم آيزاد، ثم تاكشت من بلاد جدميوة، ثم يتنمل، ومن هناك إل بلاد ابن ماغوس، وصودة، وابن جنفيس، الذين استجابوا لوعظه، وبنى واجاس؛ ثم أقام ابن تومرت ثلاثة أشهر في تامدغوست، من بلاد ايرجيتن، ثم مر بتازجاعت، ثم بتامازيرت، من بلاد بني حماس[3].أما عن وصوله لمسقط رأسه فيروي لنا ابن خلدون: " فنزل على قومه وذلك سنة خمس عشرة وخمس مائة، وبنى رابطة للعبادة اجتمعت إليه المطلبة والقبائل يعلمهم المرشدة في التوحيد باللسان البربري وشاع أمره"[4].

---

[1]- البيذق، المصدر السابق، ص50.

[2]- رشيد بوروبية، المرجع السابق، ص 59-60.

[3]- نفسه، ص61.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص303.

لكن ابن الأثير يذكر أن وصول ابن تومرت إلى قبيلته سنة 514 هـ، أما البيذق فقد حدد نفس هذا التاريخ عند وصوله ايجلي فيروي: " ... ومنها نحو آيجيليز متاع هرغة فنزل في داره وذلك في عام أربعة عشر وخمسمائة فبقي أياما يسيره ثم دخل الغار ".[1]

ويظهر أن المهدي ألف فيه (الغار) كل مؤلفاته أو بعضها، وفكر في مشاريعه الحالية والآجلة، المتعلقة بدعوة القبائل إلى التوحيد، ومناهضة المرابطين، وتنظيم المجتمع الموحدي[2]، حيث شرع في الدعوة إلى أفكاره فأخذ عدد أتباعه يتزايد شيئا فشيئا، ويذكر ابن القطان: " وأقام الإمام بجبل إيجليز ثلاثة أعوام يدرس العلم ويهاجر إليه السعداء، ويعلم المهاجرين ويخاط القبائل"[3].

[1]- البيذق، المصدر السابق، ص51.

[2]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص61.

[3]- ابن القطان المراكشي، المصدر السابق، ص 78.

المبحث الثاني: مفردات الدعوة التومرتية

وكان للدعوة التومرتية عدة مفردات نذكر منها:

1-الاهتمام بالعلم:

عمل ابن تومرت منذ البداية على توطيد العلم ونشره بين الناس، فأمر بتحصيله وشجع على ذلك بكل قوة وحماسة.ولقد وضع كتاب تسمى بأول كلمة فيه " أعز ما يطلب"، جاء في أوله: " أعز ما يطلب، وأفضل ما يكتسب، وأنفس ما يدخر، وأحسن ما يعمل العلم الذي جعله الله سبب الهداية إلى كل خير هو أعز المطالب وأفضل المكاسب ".[1]

فاتصاف ابن تومرت بالعلم وشغفه به ودعوته إليه، واعتماد إياه أصلا للإيمان أساسا للحياة الاجتماعية كما بين ذلك في تآليفه وسعى في تحقيقه.[2]

2- العقيدة:

وتنحصر في توحيد الله والنبوة، والقضاء والقدر، وفي المهدوية.

- التوحيد: وفي هذا الشأن ألف ابن تومرت لأنصاره كتاب سماه " التوحيد" باللغة البربرية، وهو سبعة أجزاء عدد أيام الجمعة، وأمرهم بقراءة جزء واحد من كل يوم بعد صلاة الصبح بعد الفراغ من قراءة جزء من القرآن[3]. وهو يحتوي على أن حقيقة

---

[1]- محمد بن تومرت، أعز ما يطلب، تحقيق: عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص07.

[2]- عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، ص382.

[3]- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص265.

التوحيد هي الأساس في الفكر العقدي عند المهدي كما أنها الأساس في حركته الثورية، حين أصبح يطلق على أتباعه والمنضمين إليه اسم الموحدين.[1]

وقد بين ابن تومرت أن التوحيد أول ما يجب تحصيله من أركان الدين وهو أهم الواجبات على كل مسلم وأنه دين أول الأنبياء والمرسلين ودين آخرهم، وشعارهم: لا إله الا الله وحده لا شريك له[2].

وبعد أن بين ابن تومرت وحدانية الله، أكد على الخلود والكمال والقدرة والحكمة ويتفق مع نظرية أهل السنة فيما يخص النبوة، وأن ارسال الرسل من قبل الله إلى عباده أمر يتصف بالجواز والإمكان.[3]

- **القضاء والقدر:** أما العلم بحقيقة القضاء والقدر، فإن المهدي يرى أن كل ما ظهر وجوده بعد عدمه من أصناف الخلائق في ملك البارئ سبحانه، سبق به قضائه وقدره، من خلق للنعيم سيسره لليسرى، ومن خلق للجحيم سيسره للعسرى، السعيد سعيد في بطن أمه، الشقي شقي في بطن أمه، كل ذلك بقضائه وقدره، لا يخرج شيء عن تقديره.[4]

- **المهدوية:** مزج ابن تومرت دعوته بفكرة المهدوية والعصمة، ولقب نفسه بالمهدي المنتظر والإمام المعصوم وعقيدة المهدوية كانت معروفة في المغرب من قديم، حيث

---

[1]– عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، ص202.

[2]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص98.

[3]– عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، ص225.

[4]–رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص104.

كان لهذه العقيدة المهدوية إقبال ورواج في بلاد المغرب أكثر منها في بلاد المشرق[1]، فأوضح ابن تومرت ضرورة اعتقاد الإمامة وجوب عصمة الإمام، كما أنه ذكر قائمة الأمة وحدد مهمة المهدي، وواجبات المسلمين نحوه، وأسباب وجوب الإيمان به وطاعته، ثم قرر أن كل من خرج عن طاعة المهدي وجب قتله.[2]

3- التشريع:

أما في مجال التشريع فهو يحتوي على المبادئ التالية: إبطال الرأي في التشريع لأنه لا مكان للعقل في وضع الأحكام الشرعية.

ابطال الظن في التشريع لأنه أصل من أصول الضلال، والعودة إلى أصول التشريع وهي القرآن والسنة، وأحيانا الاجماع والقياس. ويعتقد ابن تومرت أن باب الاجتهاد مفتوح والفقه قابل للتعديل والاثراء، ويرى أن صيغتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تفيدان الوجوب مطلقا في الأحكام الشرعية، ثم يرى ما رأته الظاهرية أن الأمر الذي ورد في صيغة العموم لا يمكن حصر تنفيذه على قضايا خاصة.[3]

4-الأخلاق:

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: واتخذها ابن تومرت شعارا له وهي فكرة يختص بها الإسلام وهي مشتقة مما ورد في القرآن الكريم: ' كنتم خير أمة أخرجت للناس،

---

[1]- أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2008، ص108.

[2]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص106.

[3]- نفسه، ص107-111.

تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله "[1].وكذلك الأحاديث الدالة على ذلك، وأساس هذه الفكرة هو التضامن والمسؤولية العامة عن حماية المجتمع من المنكر والرذائل التي ينهى عنها الدين، وقد تناول الإمام "ابن حزم القرطبي" هذه النظرية في كتاب الجامع الفصل، وذكر بأنه ذهبت طوائف من أهل السنة والمعتزلة والخوارج والزيدية إلى أن سل السيوف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب إذا لم يكن دفع المنكر إلا به.[2]

ويعلق الإمام الغزالي إلى أهمية كبيرة على تلك الفكرة ويصف بأنه هو القطب الأعظم في الدين، وأن منصب الحسبة في مختلف الدول الإسلامية، مظهرا من مظاهر العمل على محاربة بعض أنواع المنكر، فحق الحسبة تمتد إلى كل مسلم[3].

وعند المهدي ابن تومرت احتل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر درجة عظمى من فكره وسلوكه، حتى ليمكن أن نعتبر أن هذا المبدأ كان محورا لحياته فكرا وعملا منذ شروعه في رحلة العودة إلى وطنه إلى اخر أيامه.[4]

- **تحريم الخمور:** كان ابن تومرت متشددا في تحريم جميع المشروبات المسكرة مهما كان مصدرها، فخصص فقرات عديدة من رسائله وكتابه للخمر: واجتنبوا الخمر فإنها

---

[1]– سورة آل عمران، الآية 110.

[2]– محمد عبد الله، المرجع السابق، ج3، ص167.

[3]– نفسه، ص168.

[4]– عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، ص276.

أم الفواحش، ولا تشربوها ولا تسقوها ولا تعصروها ولا تبيعوها ولا تبتاعوها فإنها رجس من عمل الشيطان، وشاربها ملعون.[1]

- **وجوب الصلاة:** أولى ابن تومرت اهتماما كبيرا بحث الموحدين على الصلاة، وخصص لها ولأحكامها مائة صفحة من كتابه.[2]
- **الجهاد وقسمة والغنائم:** فإن ابن تومرت يرى أن الجهاد ليس واجبا على الكافرين فحسب، بل كذلك في حرب المسلمين الذين لا ينضمون إلى الدعوة الموحدية، أما عن قسمة الغنائم فهو دعى أتباعه إلى تجنب الجشع، وإلى تحكيم الشرع في هذا الأمر.[3]
- ووضع ابن تومرت كتابا أسماه " موطأ المهدي"، وهو عبارة عن الأحاديث النبوية التي وردت في موطأ مالك بعد حذف معظم الإسناد منها للاختصار.[4]
- وألف كذلك لأنصاره كتاب المرشدة، وكتاب آخر سماه القواعد، والآخر الأمانة، وكتب أخرى بالعربية والبربرية تداولها الناس وتتضمن هذه الكتب المواعظ والحكم والأمثال، فأقبل الناس بشغف شديد على هذه الكتب.[5]

---

[1]- رشيد بورويبة، المرجع السابق،ص113.

[2]- نفسه.

[3]- نفسه، ص 114، وأنظر محمد بن تومرت، المصدر السابق، ص355-359.

[4]- أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص109.

[5]- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص265.

المبحث الثالث: ابن تومرت من الدعوة إلى البيعة

بعد أن رحل ابن تومرت وصحبه إلى قريته أو جبل إيجليز من بلاد هرغة، بلده وموطن قومه وعشيرته، وهناك انهال إليه المصامدة من كل فج، وكثر صحبة وأتباعه، وهو يدعوهم إلى التوحيد وإلى قتال المرابطين، وعكف على تدريس العلم.[1]

فبنى رابطة للعبادة و أخذ يدرس التوحيد الكلامي جهرا، ولما اجتمع حوله كثير من الطلاب طلب إليهم مبايعته على التوحيد ثم مهد للخطوة التالية، وهي المهدوية، فأخذ يروي لطلابه الأحاديث التي جاءت في المهدي المنتظر، وذكر لهم أن ظهوره قد آن أوانه لوجود هذه العلامات تنطبق من حيث اسمه ولقبه ونسبه النبوي.[2]

وفي هذا الشأن يروي لنا المراكشي: " وقال أنا محمد بن عبد الله...، ورفع نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وصرح بدعوى العصمة لنفسه، وأنه المهدي المعصوم، وروى في ذلك أحاديث كثيرة، حتى استقر عندهم أنه المهدي، وبسط يده فبايعوا على ذلك، وقال: أبايعكم على ما بايع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله"[3].

وبهذا لما شعر ابن تومرت بأن دعايته قد أتت ثمرها وأضحى الميدان ممهدا للعمل، اعتزم أن يعلن إمامته.

---

[1]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص173.

[2]- حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص285.

[3]- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص255.

ولقد اختلفت أخبار المؤرخين حول تاريخ بيعة ابن تومرت، حيث أنه لم ترد تواريخ تامة إلا عند الزركشي فيذكر: " ثم دعوا المصامدة إلى بيعته على التوحيد وقتال المجسمين فبويع يوم الجمعة الرابعة عشر من شهر رمضان من سنة خمس عشر."[1]

وكذلك عند ابن أبي زرع حيث يروي: " وكانت بيعته له بعد صلاة الظهر من يوم الجمعة الخامس عشر من شهر رمضان عام خمس عشرة وخمسمئة (27 نوفمبر 1121م) ".[2]

أما عند البيذق وابن خلدون فلم يرد ذكر الشهر واليوم، بينما ورد ذكر السنة والشهر، وهو رمضان 515هـ، وبالتالي استثنينا ابن صاحب الصلاة وابن رشيق اللذين حددا تاريخ بيعة ابن تومرت في يوم السبت فاتح رمضان سنه 516هـ، وابن القطان الذي حدده في سنه 514هـ او في سنه 515 هـ، فإن سائر المؤرخين الآخرين يجعلون هذا الحدث في سنة 515 هـ.[3]

وبالنسبة لمكان البيعة فقد ذكر معظم المؤرخين أنها تمت بمسقط رأس ابن تومرت بقرية ايجلي، باستثناء المراكشي وابن أبي زرع اللذان ذكر أنها تمت بتينمل.[4]

وعن الأخبار المتعلقة بوصف بيعة ابن تومرت، فقد أورد صاحب الحلل الموشية ذلك: " الحمد لله الفعال لما يريد، القاضي بما يشائه، لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله المبشر بالإمام المهدي، الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا

---

[1]- الزركشي، المصدر السابق، ص06.

[2]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص176.

[3]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص65.

[4]- نفسه.

بعدما ملئت جورا وظلما، يبعثه الله إلى نسخ الباطل بالحق وإزالة الجور بالعدل، مكانه المغرب الأقصى، وزمانه آخر الزمان، والاسم الاسم، والنسب، والفعل الفعل".[1]

ثم يروي صاحب الحلل الموشية الحديث التالي عن الإمام يحيى بن اليسع: " سمعت الخليفة عبد المؤمن يقول: لما فرغ الإمام المهدي من كلامه هذا، بادر إليه عشرة من أتباعه والملازمين له، كنت أنا واحد منهم، وقلنا له: يا سيدي هذه الصفة لا توجد إلا فيك، فأنت هو المهدي، فبايعناه في أثناء ذلك، على ما بايع به الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن نكون يدا واحدة على القتال والدفاع، فبايعه أصحابه العشرة تحت شجرة خروب وتتابع البرابرة بعد ذلك عليه بالمبايعة".[2]

ومثل هذه الرواية أوردها ابن القطان.

اما ابن الأثير فيذكر أن ابن تومرت قام يعظ أهل المصامدة ويذكرهم بأيام الله، ويذكر لهم شرائع الإسلام بقوله: " ...فأقام على ذلك نحو سنة وتابعه هرغة قبيلته وسمى أتباعه الموحدين، وأعلمهم أن النبي صلى الله عليه وسلم بشر بالمهدي الذي يملك الأرض عدلا وأن مكانه الذي يخرج منه المغرب الأقصى، فقام إليه عشرة رجال أحدهم عبد المؤمن فقالوا: لا يوجد هذا إلا فيك فأنت المهدي فبايعوه على ذلك".[3]

---

[1]- مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979، ص107.

[2]- المصدر نفسه، ص108.

[3]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص197.

ويؤكد ابن خلدون أن ابن تومرت هو الذي دعى المصامدة لبيعته لقوله: ' ثم دعا المصامدة إلى بيعته على التوحيد، وقتال المجسمين دونه سنة خمسة عشر وخمسمائة.[1]

أما عن أصحاب المهدي الذي بايعوه يذكر البيذق، والذي شهد البيعة قائلا: " فأول من بايع المعصوم الخليفة عبد المؤمن بن علي، ثم أبو إبراهيم، ثم بعده عمر آصناج، ثم عبد الواحد الشرقي، ثم عبد الله ابن محسن الوانشريسي المكنى بالبشير، وبعده أبو موسى الصودي، وبعده الفقير المؤلف (البيذق نفسه)، وبعده أبو محسن ونسار، وبعده الله آهلاط، وبعده آغوال، وبعده يبورك آبمسيجين، وميمون الصغير، وميمون الكبير، ويجي المسمع وعبد السلام آغيني، ومسلم الجناوي ومكرازوملول بن إبراهيم وأولاده ثم سائر الموحدين".[2]

ويروي ابن خلدون في هذا الشأن قائلا: ' وكان فيهم من هنتاتة أبو حفص عمر بن يحيى وأبو يحيى بن يكيبت ويونس بن وانودين وابن يغمور، ومن نينمل أبو حفص عمر بن علي الصناكي ومحمد بن سليمان وعمر بن تافراتكين وعبد الله بن ملويات. وأهب قبيلة هرغة فدخلوا في أمره كلهم ثم دخل معهم كيدموية وكنفيسة".[3]

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص304.

[2]- البيذق، المصدر السابق، ص53.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص304.

وأخيرا يذكر لنا ابن أبي زرع: ' فلما كان من الغد وهو يوم السبت السادس عشرة من رمضان المذكور خرج إلى المسجد بتينمل مع أصحابه العشرة متقلدين سيوفهم، فصعدا المنبر وخطب الناس، وأعلمهم أنه الإمام المهدي المنتظر'.[1]

إن فأول من بايع ابن تومرت أصحابه العشرة وجميع قبيلة هرغة، ثم سائر الموحدين، ولما كملت بيعته لقبوه بالمهدي

ويذكر الزركشي أنه بعد بيعته بثلاث سنوات انتقل إلى جبل تينملل فأوطنه وبنى داره ومسجده بينهم حوالي منبع وادي نفيس وقاتل من تخلف عن بيعته من المصامدة حتى استقاموا.[2]

[1] -ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص176.

[2] - الزركشي، المصدر السابق، ص06.

الفصل الثالث: مسار تأسيس

دولة الموحدين

المبحث الأول: تأسيس الجماعة الموحدية.

المبحث الثاني: النشاط العسكري

المبحث الأول: تأسيس الجماعة الموحدية

لقد أدرك ابن تومرت، منذ بيعته أن أول شيء ينبغي القيام به لأتباع اشتهروا بشجاعتهم واقدامهم وكانوا ميالين إلى العنف والخصام، هو إقامة نظام مشدد ولهذا عني كثيرا بتنظيم مجتمع رتبه ترتيبا دقيقا.[1]

فأخذ محمد بن تومرت يرتب أنصاره طبقات بحسب إخلاصهم له، هنا نجد محمد بن تومرت يحاول أن يسير في خطى الرسول صلى الله عليه وسلم، فيقول أن تينمل هي دار هجرته، ثم يقسم أصحابه إلى طائفتين المهاجرون والأنصار من الصحابة، " أهل عشرة" أو " آيت عشرة" والأنصار يسمون " آيت خمسين" وتلى هاتين الطبقتين طبقات أخرى.[2]

1- **أهل العشرة:** يختلف تشكيل مجلس أهل العشرة حسب المؤرخين، فالمراكشي لا يذكر أي اسم لأعضائه، أما ابن الأثير فإنه يورد اسم عضوين هما: عبد المؤمن بن علي وأبو حفص الهنتاني[3]، وقد ورد ذكر هذه الهيئة الأولى للموحدين في كتاب الأنساب للبيذق الذي يطلق عليها اسم أهل الجماعة وعدد أعضائها إثنا عشر عضوا: " فمن ذلك أهل الجماعة رضي الله عنهم أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن بن على القيسي رضي الله

---

[1]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص91.

[2]- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة أعمال الفكرة، (دم)، 2004م، ص207. انظر: مجموعة من المؤلفين موسوعة المسكوكات المغربية على عهد الموحدين و الحفصيين و المرينيين خلال القرون: السادس و السابع و الثامن للهجرة، الثاني العشر و الثالث عشر و الرابع عشر ميلاد دراسة حضارية، ج1، دار الساحل الجزائر، 2011، ص 23

[3]-رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص91

عنه، وأبو حفص عمر بن علي الصنهاجي رحمه الله، وأبو الربيع سليمان بن مخلوف الحضري شهر بابن البقال وكان يكتب الرسائل عن إذن الإمام المهدي، وأبو إبراهيم إسماعيل بن يسلالي الهزرجي، وكان يقضي بين الناس عن إذن الإمام المهدي، وأبو عمران موسى بن تمارة الكدميوي وكان أمين الجماعة، وأبو يحيى أبو بكر يكيت، وأبو عبد الله بن سليمان، وكان يؤم الفريضة عن إذن الإمام المهدي وأستشهد يوم البحيرة، وعبد الله بن يعلا الزناتي شهر بابن ملوية، وأبو محمد عبد الله بن محسن الوانشريسي شهر بالبشير، و أبو حفص عمر بن يحي الهنتاتي وأبو موسى عيسى بن موسى المصمودي، وأبو محمد عبد العزيز الغيغائي[1].

هذا وقد أخبرنا عن مهام كبار رجال أهل العشرة، فيذكر أن المهدي كان يسمى عبد المؤمن صاحب الوقت، وأن هذا قد إختص بفرس أسود، وأبا إبراهيم الهزرجي بالقضاء، كما أن المهدي اختص أبا حفص عمر بالدرقة وأبو عمران موسى الجدميوي على أنه أمين الجماعة كما ذكرنا آنفا.

ويذكر ابن القطان أنه لم يجد في النسخة من كتاب اليسع إلا سبعة والعشرة من غيره: عبد المؤمن بن علي رضي الله عنه، وأبو محمد البشير، وأبو إبراهيم الهزرجي، وأبو حفص عمر بن علي الصنهاجي، وأبو ربيع سليمان بن الحضري وأبو عمران موسى بن

[1]– أبي بكر الصنهاجي المكنى بالبيذق، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م، ص 30-31.

تمارا، وأبو يحيى أبو بكر بن يكيت، وأبو عبد الله بن محمد بن سليمان، وأبو حفص عمر بن يحيى، وكان عاشرهم عبد الله بن ملوية وهؤلاء العشرة هم المسمون بأهل الجماعة.[1]

2- **أهل الخمسين:** كان المجلس الثاني لجماعة الموحدين يدعى أهل خمسين، وهي تضم الممثلين عن القبائل التي اعتنقت عقيدة الموحدين، ورتبتهم في الأهمية تلي رتبة العشرة حيث يكونون ركيزة الدولة الناشئة، وقد وردت أسماء هذا المجلس مجموعة حسب القبائل في كتاب الأنساب وهي كلآتي:

قبيلة هرغة: وعدد ممثليها ثمانية وهم: أبو سليمان، مصال بن ودرغ، أبو زكرياء يحيا بن يومور، أبو محمد يعزا بن مخلوف، أبو زيد عبد الرحمان بن داوود، أبو مروان عبد الملك بن يحيى، أبو زكرياء يحيى الدرعي، أبو زكرياء يحيى الهزميري وأبو عيسى الكزولي.[2]

تينملل: وأعضائها هم: أبو عبد الرحمان سواجات الإمام، أبو عمران موسى بن سليمان الكفيف، وأبو الحسن يوكوت بن واكاك، وأبو يعقوب يوسف بن مخلوف، وأبو يعقوب يوسف بن سليمان، وأبو حفص عمر بن تفراكين، وأبو يحيى أبو بكر بن يزامارن، وأبو عبد السلام يصلتن، وأبو عبد الرحمان بن يومور، وأبو عبد الرحمان القاسم بن محمد، وأبو عبد الله محمد بن موسى، وأبو يعقوب يوسف بن الحسن، وأبو الحسن علي بن ومصال بن نمير، وأبو علي يونس بن تادرارت، وأبو موسى عمران بن موسى آزكر، وأبو

---

[1]- ابن القطان المراكشي، المصدر السابق، ص126-127.

[2]- البيذق، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، ص32-33.

محمد عبد الله بن تيسينت الخلاسي، وأبو زكرياء يحيى اللمطي آيمدن، وأبو محمد عبد الله اللمطي لم يعقب، وأبو محمد عبد العزيز عرف يزآطو.[1]

هنتاتة: وعدد ممثليها ثلاثة وهم: أبو يعقوب يوسف بن وانودين وأبو عبد الله محمد بن ويكلدان.

جدميوة: وعدد ممثليها أربعة وهم: أبو محمد يعيش بن تمارا، وأبو علي سحنون بن تمارا، وأبو محمد عبد الكريم بن تمارا، وأبو محمد سعد الله والد إبراهيم.

جنفيسة: وعدد ممثليها أربعة وهم: أبو زيد عبد الرحمان بن زكو، وأبو زيد عبد الرحمان عرف بآمازر، و أبو إسماعيل والد إسماعيل بن أبي إسماعيل، و أبو إسحاق إبراهيم بن سليمان.

صنهاجة: وعدد ممثليها ثلاثة وهم: أبو محمد عبد الله الجراوي، وأبو زكريا يحيى بن وسنار، وأبو الحسن علي بن ناصر.

القبائل: فرجل واحد وهو: أبو إبراهيم إسحاق بن أبي زيد.

هسكورة: وعدد ممثليها هي الأخرى أربعة وهم: أبو محمد عبد الله بن عبيد الله، وأبو عبد الله بن أبي بكرين توندوت، وأبو إبراهيم إسحاق بن يونس، وأبو محمد عبد الحق بن معاذ الزناتي.[2]

---

[1] – البيذق: المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، ص32-33.

[2] – نفسه، ص34-35.

ويكتب مونتانتي أنه كان معظم هذه البطون تكون جمهوريات صغيرة يرأسها مزوار يشابه بدون شك المقدم وهو القاضي المعين لمدة عام، وبهذا قام ابن تومرت بتقوية الركيزة القبائلية للموحدين بعمل رمزي، يتجاوب مع مطالع البربر وعدائهم، وجعل أيضا أعضاء قبيلة هرغة يتبنون أتباعه الغرباء من قبائل الموحدين، ليصبح أفراد هرغة وإخوتهم من بين المجموعات التي تكون الشعب المختار، ويظهر هذا التفضيل الموجود بين القبائل من جهة وبين أفراد كل قبيلة من جهة ثانية.[1]

وهناك تباين في الروايات عن عددهم أهل الخمسين فهناك روايتان عن عددهم وأسمائهم هما لا يتفقان في الأمرين، فالأولى فما ذكرناها آنفا عن صاحب كتاب الأنساب أما ثانية فذكرها ابن صاحب الصلاة قائلا: " وأما الخمسون فهم: أما من قبيلة هرغة فستة رجال: أبو مروان عبد الملك بن يحيى، وأبو زيد عبد الرحمان بن سليمان، واسحاق ولم أجد اسم ابيه، وأبو زكرياء يحيى بن يومور، ويعزى بن مخلوف، وأبو زيد عبد الرحمان بن داود، وأما من قبيلة تينملل: فأربعة عشرة وهم: أبو عمران موسى بن سليمان القاضي، وأبو عبد الرحمن، وسواجات بن يحيى، وأبو بكر بن يزامارن، وأبو محمد عبد العزيز، وعلي بن يامصل، والحاج موسى، ويحيى أغوات، عبد الملك بن نيساك، والقاسم بن محمد، ويوسف بن مخلوف وأبو علي يونس.[2]، وأما من قبيلة هنتاتة فثلاثة: أبو يعقوب يوسف

---

[1]– جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، مراجعة مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1991م، ص296–297.

[2]– عبد الملك بن صاحب الصلاة، المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1964، ص439.

بن واندين، وداوود بن عاصم، وأبو محمد بن واحدان وأما من قبيلة جدميوة فرجلان: أبو محمد يعيش، وأبو حرب.

وأما من قبيلة جنفيسة فأربعة: أبو إسماعيل، وأبو زيد عبد الرحمن بن رجو، وعبد الله بن الحاج، وأبو سعيد يخلف بن الحسين. وأما من القبائل فرجل واحد هو أبو إبراهيم إسحاق بن أبي زيد.

وأما من هسكورة فثلاثة: إسحاق بن يونس، وعبيد الله وأبو عبد الله بن أبي بكر المعروف بإبنيندوس، و أما من صنهاجة فثلاثة: أبو محمد الجراوي، و يحي بن وسنار، و إسحاق بن محمد وأما من الغرباء فخمسة: أبو يعقوب اللمطي، وأبو زكريا يحيى الدرعي وعبيد الله بن يوسف الزناتي، وسليمان الجزولي وإبراهيم بن جامع.[1]

لكن ابن القطان تنبه إلى قصور عدده بلوغ الخمسين فقال: " وهم على هذا زهاء أربعين أو واحد وأربعين رجلا، فأين تمام الخمسين؟ ثم عد السبعة الذين قال إنهم رجال مشورته، و لعلهم منتقون من الخمسين، ثم قال هم: أبو سليمان، من هرغة، وأبو الحسن من أهل تينملل، وأبو وزغيغ بن ياموهل بن ياوجان، من أهل تينملل، وأبو وايوريغور يبوركن، من تينملل أيضا، وقطران بن ماغليفة، من هنتاتة، وأبو محمد سكاته، وأبو عمران موسى بن واحدين من مزالة ومزالة من هنتاتة.[2]

---

[1]- عبد الملك بن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص440.

[2]- ابن القطان المراكشي، المصدر السابق، ص86.

ويضيف صاحب كتاب الأنساب أن هناك أشخاص بعد التمييز فيقول: ومن ذلك المستدركون بعد التمييز: أبو سعيد يخلف بن الحسن أتيكي، وأبو يحيى لأبو بكر بن الجبر الصنهاجي، وأبو محمد عبد الله بن سليمان التينملي، وأبو محمد عبد الله بن وانودين الهنتاتي، وأبو محمد عبد الحق بن وانودين الهنتاتي، وأبو الطاهر تميم بن وانودين الهنتاتي، وأبو عبد الله بن ولعبدان الهنتاتي المزالي، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن وكاك التينملي، وأبو محمد عبد الواحدين وامكر الهنتاتي، وأولاد الشيخ الشهيد أبو عمران موسى بن يركان من جهة الأم.[1]

وبالتالي فتوضيح قوة تمثيل القبائل في مجلس أهل خمسين، من الروايتين اللتين وصلتنا عن أهل خمسين نستطيع أن نستخرج ثلاث صور لهذا التمثيل: الأولى عن كتاب الأنساب قبل التمييز، والثانية عن ابن صاحب الصلاة، والثالثة عن كتاب الأنساب بعد التمييز والبيان التالي يوضح ذلك:

[1]–البيذق، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، ص446.

المجموعة / الرواية	هرغة	أهل تينملل	هنتاتة	جدميوة	جنفيسة	صنهاجة	القبائل	هسكورة
كتاب الأنساب قبل التمييز	8	19	2	4	4	3	1	4
ابن صاحب الصلاة	6	14	3	2	4	3	1	3
كتابالأنساببعدالتمييز	8	21	8	4	5	3	1	4

غير أن هذا الإحصاء لم يشمل ما أورده ابن صاحب الصلاة الغرباء الخمسة الذين يذكرهم ويبينهم اثنان يصنفهم كتاب الأنساب بين هرغة، وعليه يكون العدد الذي يذكره عن هرغة مساويا لما تذكره رواية كتاب الأنساب قبل التمييز وبعده.[1]

[1]- عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، [د.ت]، ص 74-75.

ومن هذا البيان نستنتج أن رواية كتاب الأنساب قبل التمييز تتفق مع رواية ابن صاحب الصلاة من حيث قوة تمثيل القبائل، وواضح أن أعلى نسبة كانت لأهل تينملل فهرغة فجنفيسة ...الخ، ولكن ابن صاحب الصلاة لا يذكر من استدراك بعد التمييز فانقلب النسب فصار الترتيب حسب قوة التمثيل: أهل تينملل فهنتاتة فهرغة وهكذا.[1]

3- **أهل السبعين**: من المحتمل أن فكرة اجتماع أهل الخمسين وأهل دار المهدي وهم عشرون شخص في جلسة واحدة فيسمون مثل هذا الاجتماع " أهل سبعين" ولاسيما عددهم قرب السبعين، ومن الجائز أيضا أن اجتماعهم كان قليل الحصول فسني الرواة أمرهم.[2]

4- **الطلبة**: يبدوا أن عدد الطلبة كان كبيرا في حياة المهدي، فقد وجه في سنة 516 هـ منهم جماعة وافرة إلى السوس، وهذا أمر لا يستغرب، إذ أن المهدي خلال رحلته راجعا من المشرق كان يحرص على تدريس العلم، ولما نزل مراكش كثر محبوه فأخذوا عنه وتلقوا منه وعندما وصل إيجليز كان يشتغل بتدريس العلم عاما كاملا قبل أن يعلن مهديته، فآمن الكثير منهم بأفكاره وإقتنعوا بطريقته، فعملوا بنهجه فرباهم تربية خاصة ثم بثهم بين القبائل يدعون لأمره، فكان نشر الدعوة بين القبائل وإذاعتها في الناس غايتهم، وكان إرسال الدعاة عملا مستمرا وخطة متصلة.[3]ويصور لنا ابن أبي زرع أسلوب الدعاة فيقول: " يدعون إلى بيعته ويثبتون عند الناس إمامته، ويزرعون في قلوبهم محبته مما

---

[1]- عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص76.

[2]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص94.

[3]- عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص77.

يذكرون له من الفضائل والكرمات، ويصفونه به من بالزهد في الدنيا وإظهار الحق".[1] وقد نجحوا نجاحا عظيما نتيجة لسعيهم.

5-**أهل الدار**: قال ابن صاحب الصلاة وكان له رضي الله تعالى عنه رجال يخدمونه في داره، يسمون أهل الدار من أصحابه، يختصون به في ليله ونهاره، وهم المعروفون بأهل الدار أخصهم به: عبد الواحد بن عمر، وأبو محمد وسنار بن محمد، وأبو محمد عبد العزيز، وأبو موسى عيسى، وعبد الكريم أفغو.[2] فأهل دار المهدي هم وعشيرته وخاصة خدمه فكانوا ملازمين له ليلا ونهارا.[3]

6- **الكافة**: إن عامة الموحدين الذين لم يخصهم المهدي بمهام معينة مثل ما فعل مع أهل الجماعة وأهل الخمسين والطلبة، وأهل الدار لم يتركوا دون تنظيم يلم شتاتهم فقد نظموا بحسب قبائلهم فجعل ابن تومرت القبيلة وحدة سياسية، وفي هذا الشأن يذكر لنا صاحب الحلل السوشية: " ...والصنف الخامس: الحفاظ، وهم صغار الطلبة، والصنف السادس أهل الدار، والصنف السابع أهل هرغة، والصنف الثامن أهل تينملل، والصنف التاسع جدميوة، والصنف العاشر أهل جنفيسة، والصنف الحادي عشر، الجند، والصنف الثالث عشر: الغزاة، وهم الرماة، ولكل صنف من هذه الأصناف رتبة لا يتعداها إلى

[1]- ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص176.

[2]- ابن القطان المراكشي، المصدر السابق، ص86-87.

[3]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 174.

غيرها لا في سفر ولا في حضر، لا ينزل كل صنف إلا في موضعه، لا يتعداه، فانضبط أمره، وأقاموا على ذلك مدة حياته.[1]

ويضيف ابن القطان إلى ذلك طبقة أخرى هي الطبقة الرابعة عشر وهي طبقة " الفرات" وهم الأحداث الصغار الأميون.[2]

وهكذا استطاع المهدي أن يحدث نظاما متسلسلا في طبقاته محدد وظائف أعضائه فأهل الجماعة بمثابة الوزراء للمهدي، فهم أهل ثقة ومشورته في الأمور العظام، وقد تولوا تنفيذ القرارات، فقد تولى البشير في أغلب الأحوال وعبد المؤمن وعمر أصناج وموسى بن تمارا القيادة العسكرية، وسليمان الحضرمي الكتابة، وإسماعيل الهزرجي القضاء ومحمد ابن سليمان الإمامة في الفرائض عن إذن المهدي، وأيوب الجدميوي تقسيم الإقطاع بين الموحدين في أيامهم الأولى وهكذا، ثم تليها هيئة الخمسين وهي مجلس الاجتماع للمشورة، وكان أهل الطلبة للدعوة، والكل مع العامة في الجندية سواء.[3] فكان لهذه التنظيمات دور سياسي بجانب دورها الحربي، وكما يقول صاحب الحلل الموشية: " وكان يعقد الأمور العظام مع أصحابه العشرة، لا يحضر معهم غيرهم، فإذا جاء أمر أهون أحضر الخمسين، فإذا جاء دون ذلك أحضر معهم السبعين".[4]

---

[1]– مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص109.

[2]– محمد عبد عنان، المرجع السابق، ج 3، ص174.

[3]– عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص69.

[4]– مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص108.

المبحث الثاني: النشاط العسكري

بعد أن أقام ابن تومرت بتنظيم أتباعه سياسيا واجتماعيا، أخذ يهيئهم للحرب ضد المرابطين، فأوجب على أنصاره قتالهم كما أوجب الرسول على الصحابة قتال الكفرة من قريش، وكان لابد لهذه الحشود من تنظيم يشملها ويضعها جميعا في إطار واحد تحت يد حاكمة توجهها نحو تحقيق أهدافها، فكما استعرضنا سابقا فقد نظم ابن تومرت أتباعه إلى طبقات ومن عرضنا لها نجد أنه أفرد طبقة للجند والغزاة والرماة، وهذا أول تنظيم للجيوش الموحدية، فازدادت أعداد الجند وأصبحوا قوة جديرة بلقاء جموع المرابطين في صراع مسلح.[1]

فلجأ ابن تومرت إلى تنظيم هذه الأعداد إلى عشرات وجعل على كل عشرة منها نقيبا ثم اختار لقيادة هذه الفرق قوادا أكفاء من أهل الجماعة العشرة ثم خرجت هذه الجيوش للصدام المسلح مع المرابطين وفق منهاج جديد في أنظمتها، وخطط مبتكرة في حروبها، وقد كان الجيش الموحدي في تزايد تباعا بانضمام القبائل للدعوة الموحدية.[2]

فسمى ابن تومرت أصحابه ' بالموحدين" أما أعدائه المرابطين" فسماهم " الزراجنة"، شبههم بطائر أسود البطن أبيض الريش، يقال له "الزرجان' لأنهم بيض الثياب سود

---

[1]– فتحي زعروت، الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين (المغرب والأندلس)، دار التوزيع والنشر الإسلامي، القاهرة، 2005م، ص78–79.

[2]– نفسه.

القلوب كما سماهم أيضا " المجسمين"، ويسمون أيضا "الحشم" للثامهم كما يفعل النساء المتحشمات".[1]

وقامت المواجهات الأولى بين الموحدين والمرابطين في إيجليز، ببدايته القطيعة رسميا بين حركة التوحيد المصمودية وبين دول صنهاجة المرابطية بإبتداء إعلام الإمام المعصوم بإعلان أمره العزيز ومبايعة الناس له، وهو ما حدث ابتداءا من سنة 515 هـ/1121م حيث بدايات العمليات الحربية بين الطرفين، فعندما بلغت أخبار إمامة ابن تومرت إلى أسماع أمير المسلمين " علي بن يوسف"، أرسل إلى الموحدين جيشا ضخما، وهنا وقعت هرغة وقفة واحدة وقررت الدفاع عن زعيمها المهدي المعصوم وقرروا لقاء جيش المرابطين الذين سار إليهم بقيادة والي السوس أبي بكر بن وربيل اللمتوني حال وصوله عند سفح الجبل، فنجحوا في تحقيق النصر عن طريق الكمائن وأخذ أسلاب خصومهم.[2]

وثأرا من هرغة أوقعت إحدى السرايا المرابطية بقيادة علي بن ثابتا اللمتوني ببعض ببني وارتانك من أفخاذ هرغة، وفي هذا الشأن يروي لنا القطان فيقول: " منها وقعة علي بن ثابتا اللمتوني ببني وارتانك، وجههاليهم صاحب السوس أبو بكر بن وربيل في جملة من الأجناد، فأحاطوا ببني وارتانك وهم غارون، فقبضوا على مائة رجل منهم، أبو الحسن يوجوت بن واجاج من أهل خمسين. فحملوا إلى تيونوين لصاحب السوس، فسجنهم ثم مشت الحصة التي فعلت هذا من اللمتونيين ليضربوا على الملت أن ورغن حيث كان

---

[1]– ابن القطان المراكشي، المصدر السابق، ص132.

[2]– سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج5، ص233.

الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه قبل هذا، فألفوهم وقد أخذوا حذرهم منهم، وكمنوا لهم، فخرجت كمائن هرغة عليهم، واشتد حربهم، وأخذت أكثر خيلهم وسلاحهم، وقتل أكثرهم، وقتل من هرغة نحو خمسة وثلاثين رجلا وهي أول غزوة لهرغة: فجمعوا غنائمهم، وطلعوا بها إلى المهدي فكانت أول غنيمة للموحدين أعزهم الله فيها الخيل:[1] " فتمكن الموحدون من هزيمة المرابطين فستولوا على أسلابهم، وذلك في شهر شعبان سنة 516هـ (أغسطس سنة1123م)، وكان هذا بمثابة النصر العسكري الأول للموحدين ضد المرابطين، فلعب هذا النصر دورا كبيرا في رفع الروح المعنوية لدى الموحدين.[2]

وبادر علي بن يوسف فجهز جيشا آخر أضخم عدة وعددا، وسيره تحت إمرة الأمير "أبي إبراهيم إسحاق"، وكان الموحدون قد كثر جمعهم، وقويت نفوسهم وتزودوا بما غنموه من المرابطين من الخيل والسلاح، فلما التقى الجمعان للمرة الثانية سرى إلى الحشم والجند المرابطين رعب مفاجئ، وانهزموا أمام الموحدين دون قتال، وقتل منهم عددا وافرا، واستولى الموحدون على محلتهم، وسائر عدتهم، وكان لهذه الهزيمة الثانية أسوأ وقع في نفس علي بن يوسف، فجهز على الأثر جيشا عظيما ثالثا، وعهد بقيادته إلى الأمير سير بن مزدلي اللمتوني، فأصيب كذلك بهزيمة شديدة وقتل من جنده جملة وافرة، كانت نكبة جديدة للمرابطين.[3] ويقول ابن أبي زرع في هذا الشأن: " لما هزم الموحدون جيوش أمير

---

[1]- ابن القطان المراكشي، المصدر السابق، ص129-130

[2]- عز الدين ميتون، المرجع السابق، ص217.

[3]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص179.

المسلمين علي بن يوسف عظم أمر المهدي وقوي سلطانه وركب أكثر جيشه من خيل المرابطين التي غنموها من عساكرهم فنهض إلى قتالهم ...".[1]

ومن هنا نرى أن علي بن يوسف: " أيقن أن الأمر أخطر مما كان يتوقعه وأن محاربة الموحدين وهزيمتهم أمر ضروري للمحافظة على دولته، وبالمقابل أدرك المهدي قوة جيشه وأنه يسير قدما في هزيمة المرابطين وتحطيم دولتهم، وإقامة الدولة الموحدية على أنقاذ الدولة المرابطية، حيث كان المهدي واثقا من تحقيق هدفه فوجه إلى المرابطين رسالة يدعوهم إلى طاعته ويحذرهم بسحقهم إذا لم يستجيبوا لنص هذه الرسالة التي أورد لنا ابن صاحب الحلل الموشية: ' إلى القوم الذين استذلهم الشيطان، وغضب عليهم الرحمن، الفئة الباغية، والشرذمة الطاغية المتونية، أما بعد: فقد أمرناكم بما نأمربه أنفسنا من تقوى الله العظيم ولزوم طاعته، وأن الدنيا مخلوقة للفناء والجنة لمن إتقى، والعذاب لمن عصى، وقد وجبت لنا عليكم حقوق بوجوب السنة فإن أديتموها كنتم في عافية، وإلا فنستعين بالله على قتلكم حتى نمحو آثاركم، ونهدم دياركم، وحتى يرجع العامر خاليا، والجديد باليا، وكتابنا هذا إليكم إعذارا وإنذارا، وقد أعذر من أنذر، والسلام سلام السنة، لاسلام الرضى".[2]

ومما أوصى به أصحابه عندما بعثهم على المرابطين قوله' أقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الذين تسموا بالمرابطين، فدعوهم إلى إماته المنكر، وإحياء المعروف، وإزالة

---

[1]- ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص178.

[2]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص111.

البدع، والإقرار بالإمام المهدي المعصوم، فإن أجابوكم فهم إخوانكم لكم مالهم وعليهم ما عليكم، وإن لم يفعلوا فقاتلوهم فقد أباحت لكم السنة قتالهم.[1]

وعندما لم يجبه المرابطون إلى دعوته إذ يعتبرون أنفسهم على الحق، ويعتبرونه على الباطل، جعل يعد العدة لغزوهم، و بادر بكسب القبائل المجاورة، و ركز دعوته فيهم، ولما استكمل عدده وعدته، شرع في وقائعه الحربية، وقد عرض البيذق في روايته في باب غزوات المهدي التي بلغت تسع غزوات متوالية ضد المرابطين بكثير من التفصيل.[2] وهذه الغزوات كالآتي:

- **الغزوة الأولى:** ويقول البيذق عن هذه الغزوة: " أعلم أن أول غزوة غزاها المعصوم غزاة يقال لها "تاودزت" وكان جمع المعصوم مع الحشم، وكان قائدهم (أي قائد المرابطين) " بينتان بن عمر" فلما إصطفت الصفوف نظرا الناس للمعصوم، ثم نظر المعصوم فيهم فقال: لا تفزعوا فإنهم هاربون وكذلك كان فعلهم إنما كان هروبا".[3] وهنا نرى أن البيذق ثبت للمهدي معجزة الأخبار نتيجة المعركة قبل وقوعها، ويصور المرابطين كفارا، والموحدين مؤمنين، ويمكن تفسيرا انتصار الموحدين في هذه المعركة أن السلطان علي بن يوسف عين بينتان بن عمر على هذه الحملة ليلتقي ابن تومرت ويتفق معه على الصلح وجذبه على السلطان حقنا لدماء المسلمين، لأنه خلصه من السجن والقتل الذي دبر له وهو بمراكش حيث حمل بيتان ابن عمر بن تومرت إلى

---

[1]- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص259-260.

[2]- عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، ص122.

[3]- البيذق، أخبار المهدي، 53-54.

بيته وآواه وهيأ له الهروب إلى قومه، لهذا هيأ هذا القائد لملاقاة صديقه لكن ابن تومرت استغل هذه الفرصة ولم يكترث لصديقه، واعتبر هذا نصرا مبينا للموحدين.[1]

- **الغزوة الثانية:** أما عن هذه الغزوة فيروي البيذق لنا: " لسيدنا المعصوم، وذلك أرشد الله أنه لما بلغه أن جيش المجسمين أتاه، يقدمهم سليمان بن يجلد، وابن أبي فراس، وعبد الرحمن قاضي السوس وبانو، قال لنا المعصوم: لا تجزعوا فإنكم تقبلون منهم الهدية فقلنا: يا سيدنا وكيف يهدي لنا أعدائنا؟ قال لنا: الرعب الذي يرمي الله في قلوبهم ويردهم، فلما وصلوا أمرنا المعصوم أن نخرج إليهم ونكثر من ذكر الله فلما التقى الجمعان كبر المعصوم فيهم، وقال لنا الله ينصركم عليهم ثم قبض قبضة من تراب ورماها في وجوههم فانهزموا وتركوا الخيل والبغال والدعم والسلاح وانقلبوا خاسرين.[2] أما ابن القطان فقد ذكر " بأن قائد جيش المرابطين في هذه الغزوة هو أخو علي بن يوسف بن تاشفين أبو إسحاق إبراهيم ويعرف بابن تعبشت، وقد وقع هذا اللقاء سنة 516هـ/1122م".[3]
- **الغزوة الثالثة:** فيذكر البيذق بأنها كانت بموضع يقال له "تالات" أن يميزك وقد وقعت بعد أن وصلت للمهدي بعض كتب الأمير علي بن يوسف، تطلب حقن دماء المسلمين، فرد لهم الجواب وهو يقضي بالدخول في دعوته، وكان علي ابن تومرت أن يخلد بعض الوقت للانفراد والتأمل فيما كان يهمه، ولما خرج من عزلته المؤقتة

---

[1]- عبد الله علي علام، المرجع السابق، ص77.

[2]- البيذق، أخبار المهدي، ص54.

[3]- ابن القطان المراكشي، المصدر السابق، ص130.

أخبر ابن تومرت أهل مشورته عن غدر أحد شيوخ القبائل، وهو عبد العزيز بن ياجريان، وذلك بالتآمر مع المرابطين على اغتياله نظير رشوة مقدارها 200 (مائتي) دينار.

وترتب على ذلك أن أمر سرية من رجاله بمفاجئة عبد العزيز بن ياجريان وقتله والإتيان بالكتائب المتبادلين في هذا الشأن[1]، ويروي البيذق لنا فيقول: " بعد أن بعث المجسمون كتابا، فرد لهم سيدنا المعصوم الجواب، وجلس في الدار ثلاثة أيام وخرج لنا، فدخلوا لزيارته وقالوا ما حبسك عنا قال لهم: عبد العزيز بن ياجريان قد أرشى علينا من يقتلنا بمائتي دينار وزوج كتب عند رأسه، سيروا إليه وصبحوه فإن أبي خذوا من عند رأسه الكتب فوجدوا الكتب عند رأسه، وقتلوا عبد العزيز وصلب... فلما وصل الإمام جيشهم قال لنا لا تفزعوا منهم فإن الله يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت، فالتقى العين بالعين، فهزموهم بإذن الله".[2]

[1]– سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج5، ص236–237.

[2]– البيذق، أخبار المهدي، ص55.

وأمام اخفاق القوات المرابطية المتكرر أمام قوات الموحدين، قرر الأمير علي بن يوسف ضرب الحصار على ايجليز في منطقة قبائل هرغة، فلعل الحصر والجوع يفعل بالمصامدة في درن ما لم يفعله السيف والقتل، وعهد 'علي" بذلك إلى الفلاكي الأندلسي وهو مغامر وقاطع طريق من أهل إشبيلية، كان قد ضاع صيته، وتاب ودخل خدمة الأمير فقام بمهمته خير قيام، فأقام سلسلة من الحصون سد بها ثغرات الجبل، ومنع الموحدين من النزول إلى السهل وبذلك الاجراء تمت القطيعة بين الحكومة المرابطية وجبل هرغة.[1]

وقبل الحديث عن الغزوة الرابعة يجب التطرق إلى نقلة ابن تومرت إلى تينملل فبالرغم من الانتصارات التي حققتها قوات ابن تومرت كان انتصارات في حرب مكشوفة ليست مضمونة وخاصة أن الدولة المرابطية بدأت تواجه جماعة الموحدين بقوات كانت تزداد في ضخامتها مع مرور الوقت، ورأى أنه من الأفضل للموحدين اللجوء إلى منطقة تينملل الحصينة، حيث تم التحالف مع قبيلة هنتاتة، وهكذا كانت النقلة من ايجليزهرغة إلى تينملل بمثابة بداية مرحلة جديدة.[2] وعن حصانة تينملل و يقول صاحب الحلل الموشية: " وأن المهدي توجه إلى تينملل لما رأى من منعتها، وحصانة موضعها، فقسم أرضها وديارها على أصحابه، في خبر بطول شرحه، وأدار على المدينة سورا أحاط بها من كل جانب، وبنى على رأس الجبل سورا، وأفرد في قمته حصنا يكتشفه على ما وراء الجبل،

---

[1]– محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص184.

[2]– سعد زغلول، المرجع السابق، ج5، ص238.

ولا يعلم مدينة أحصن من تينملل، لا يدخلها الفارس إلا من شرقها، أو من غربها، فأما غربها وهو الطريق إليها من مراكش، فطريق أوسع ما فيه أن يمشي عليه الفارس وحده موسعا، وأضيقه أن ينزل عن فرسه خوفا من سقوطه، وكذلك شرقا لأن الطريق مصنوعة في نفس الجبل، تحت راكبها حافات، و فوقه حافات، وفيها مواضع مصنوعة من الخشب، إذ أزيلت منها خشبة لم يمر عليها أحد، ومسافتها علي هذه الصفة نحو مسيرة يوم.[1]

وفي سنة 518 هـ دبر ابن تومرت مؤامرة تخلص أهل تينملل من الضيوف المماليك الغير مرغوب فيهم بعد أن طالت مدته في تينملل خشي أن يطرأ على أهلها من جهة الملك ما يحوجهم إلى تسليمه إليه والتخلي عنه، فشرع في أعمال الحيلة فيما يشاركونه فيه ليعصوا على الملك بسببه، ويروي ابن خلكان: " فرأى بعض أولاد القوم شقرا رزقا، وألوان أبائهم السمرة والكحل، فسألهم عن سبب ذلك فقالوا نحن من رعية الملك وله علينا خراج، وفي كل سنة تصعد مماليكه إلينا ينزلون في بيوتنا ويخرجونا عنها.[2]

ويخلون بمن فيها من النساء، فتأتي الأولاد على هذه الصفة، فقال محمد: والله إن الموت خير من هذه الحياة، وكيف رضيتم لهذا ؟ فقالوا: بالرغم لا بالرضا، فقال: أرأيتم لو أن ناصرا نصركم على أعدائكم ما كنتم تصنعون؟ قالوا: كنا نقدم أنفسنا بين يديه للموت، قالوا: من هو ؟ قال: ضيفكم-يعني نفسه- فقالوا: السمع والطاعة، ثم قال لهم: استعدوا

[1]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص112-113.

[2]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص51.

لحضور هؤلاء بالسلاح، فإذا جاؤوكم فأجروهم على عاداتهم وخلوا بينهم وبين النساء وميلوا عليهم بالخمور، فإذا سكروا فأذنوني بهم، فلما حضر المماليك وفعل بهم أهل الجبل ما أشار به محمد، فأمر بقتلهم بأسرهم، فلم يمض من الليل سوى ساعة حتى أتو على آخرهم، ولم يفلت منهم سوى مملوك واحد فهرب ولحق بمراكش وأخبر الملك بما جرى.[1]

فكان رد الأمير " علي بن يوسف بن تاشفين" سريعا وقويا، حيث سارت العساكر المرابطية إلى جبل تينملل على قدر ما تسمح به ظروف المكان الشديد الوعورة، ولكن المراصد التي بثها ابن تومرت والنجدات التي أتته من الحلفاء المصامدة المجاورين إستقبلت خيل المهاجمين بوابل من الحجارة ردتهم على أعقابهم، وبتحرير تينملل من النفوذ المرابطي أصبحت البلدة مدينة مفتوحة بين يدي ابن تومرت.[2]

الغزوة الرابعة: وقعت في منطقة " تيزي أن ماست" حيث اشترك في هذه الغزوة خمس قبائل كما ذكر البيذق فلما التقى الجمعان أخذ المعصوم علما أبيضا فدفعه للخليفة الإمام عبد المؤمن بن علي وأخرج معه جدميوة، وأخذ علما ثانيا أصفر فدفعه لأبي إبراهيم، وقدمه على هرغة، وأخذ علما ثالثا أحمر ودفعه لعبد الله بن منوية وقدمه على جنفيسة، ثم أخذ علما رابعا ودفعه لياللتن، وقدمه على أهل تينملل، ثم أخذ علما خامسا ودفعه لعمر

[1]- ابن خلكان،المصدرالسابق، ج5،ص52

[2]- سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج5، ص241.

آينتي، وتقدم لهنتاتة ثم قال: لا تهبطوا اللوطاء وأتركوهم يصعدون إليكم[1]، فهذه الغزوة شنها الموحدون وهنتاتة ضد المرابطين و ذلك أن قبائل عديدة دخلت في طاعة الموحدين بعد انتصارهم ومن بين هذه القبائل هرغة و مسكانة و سجتانة وأهل تينملل، ثم أن المهدي وجه رسلا إلى بلاد السوس وجبل درن لنشر الدعوة الجديدة بين الأهالي، فاستجاب له جملة من تلك القبائل منها جدميوة الجبل، وهزميرة الجبل وجنفيسة الجبل[2]. ثم أن هنتاتة لما سمعوا بالإمام المهدي و بإخباره اجتمعوا بمحضر رؤسائهم، فتذاكروا خبر الإمام المهدي فوجهوا أبا يعقوب إسحاق بن عمر ليسبر أمره، و يخبر رجاله، فتوجه إسحاق بن عمر و الموحدين في ثلاثة آلاف راجل ثلاثمائة فارس يقدمهم البشير، واجتمع بالإمام المهدي، ثم انصرف إلى تيفنوت، فاجتمع بالذين أرسلوه وعرفهم بما هو عليه الإمام المهدي، من رفع المظالم والمناكر والمغارم، وقال لهم: النور، النور في بلاد هرغة، وأنتم في الظلمة يا هنتاتة فصنعوا طعاما، واجتمعوا عليه وتعاهدوا على طاعة المهدي.[3]

وكان عساكر المرابطين قد تحركت إلى ايجليز لمحاصرة الموحدين، وكان الإمام قد شرع في بناء مسجد بها فسمع صياح الناس وهوير الطبول، فسأل عن ذلك فقيل له وفد هنتاتة فأمر ابن تومرت عبد المؤمن بالخروج إلى لقائهم، فاجتمع هذا بهم[4]، فكان الجيش

---

[1]- البيذق، أخبار المهدي، ص55.

[2]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص71.

[3]- ابن القطان المراكشي، المصدر السابق، ص 134.

[4]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص72.

المرابطي بقيادة القائدين: يانو و آلدي بن موسى، وكان النصر فيها للموحدين وذلك للتخطيط المحكم لهذه الغزوة من طرف المهدي حيث أنه أصدر أمرا بعدم الهبوط خوفا من اختلال صفوف القبائل المصمودية أثناء النزول في الطريق الوعرة، وهكذا أتيحت الفرصة للموحدين بأخذ أعدائهم بمجرد الصعود، قبل أن يستردوا أنفاسهم من مشقة التسلق، ونجحوا في هزيمتهم، فغنموا خيلهم وأسلحتهم.[1]

وفي تلك الأثناء، تمكن أبو الحسن بوجوت بن واجاج مع جماعة الأسرى معه منذ الغزوة الأولى، من الفرار من السجن بتيونوين، قاعدة السوس ولحقوا بالمهدي[2].

الغزوة الخامسة: وهي غزوة يقال لها آنسا أن يماديدن، فعلي بن يوسف جهز جيش وقدم عليه عمر بن ديان من مراكش، ثم وصل إلى آنسا بجيش كبير فبلغ الخبر للمعصوم قال: سيروا إليهم على بركة الله، فلما التقى العين بالعين قاتلناهم قتالا شديدا، وقاتلونا كذلك، حتى سقط فيها المعصوم ورد عليه كثير من الناس حتى قام، وانهزم المجسمون بفضل الله ورحمته.[3]

الغزوة السادسة: " وهي الغزوة المسماة غزوة تيفنوت وذلك أن المجسمين قدموا أبا بكر على جيش فخرج بهم نحو تيفنوت، فخرجنا نحن ورائه فلما وصل بنا المعصوم إليهم قال: خذوهم على بركة الله، فكان بيننا وبينهم قتال شديد، فلما رأوا ما لا يطيقون افترق النظام،

---

[1] – سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج5، ص247.

[2] – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص72.

[3] – البيذق، أخبار المهدي، ص56.

ورجع كل واحد لموضعه فأقام سيدنا المعصوم أياما ثم قال عولوا على الغزو إن شاء الله تعالى، والله المستعان.[1]

ويفهم من كلام البيذق، أن الموحدين لم ينتصروا في هذه الغزوة لأن النظام قد افترق، ورجع كل الطرفين إلى موضعه، ولكن المهدي يوحي إلى جيشه ألا ييأس و أن يعاود الغزو والله المستعان، ولكن البيذق لا يصرح بهذا محافظة على سمعة الموحدين.[2]

الغزوة السابعة: وهي غزوة هسكورة، لأنها كانت من القبائل المتخلفة عن بيعة المهدي، والاعتراف بطاعته، وفي هذه الغزوة اشترك المهدي بنفسه في القتال وأصيب بجراح وأسرع أنصاره بحمله وإنقاذه، والواقع أن المهدي لم يقتصر في بداية أمره على مقارعة المرابطين أولمتونة، ولكنه شغل في نفس الوقت بمحاربة القبائل المجاورة المتخلفة عن بيعته وطاعته، ولم تكن هسكورة فقط بل كانت أيضا رجراجة، وهزرجة، وغجرامة، وكثير من بطون المصامدة، فكان المهدي شديد في قتالهم ويرغمهم على الطاعة قبيلة بعد أخرى، حتى دانت له سائر القبائل الخارجة من المصامدة وغيرهم.[3] فيذكر لنا ابن خلدون ذلك بقوله: " وقاتل من تخلف عن بيعته من المصامدة حتى إستقاموا فقاتل أولا هزرجة وأوقع بهم مرارا، ودانوا بالطاعة ثم قاتل هسكورة ومعهم أبو درقة اللمتوني فغلبهم وقفل فأتبعه بنوا واسكيت فأوقع بهم الموحدون وأثخنوا فيهم قتلا وأسرا، ثم غزا بلد غجرامة".[4]

---

[1]- البيذق، أخبار المهدي، ص56.

[2]- عبد الله علي علام، ص 78.

[3]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص180.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص304-305.

ويذكر البيذق في الغزوة السابعة: " لما خرج المعصوم لغزاة هسكورة لموضع يقال له "آزليم" فتقاتلنا معهم حتى أخذ الله الذين ظلموا، ونصر الله المهدي وطائفته أهل الحق وأنصار الدين".[1]

وفي تينملل غزى الموحدون غزوتين حسبما يذكر البيذق وهما الثامنة والتاسعة.

غزوة تازاجورت: ويقول البيذق فيها" فتحها الله، وكانت يومئذ بلاسور، فغزى بها شقي يقال له دمام، فأخذنا بها عبيدا، فقال المعصوم" لميمون الكبير"، خذ هؤلاء إخوتك وكانت ألفتهم مع عبيد آزليم، فسماهم المعصوم عبيد المخزن، ورجعنا نحو تينملل فأقمنا بها أياما".[2] وهكذا كانت غزوة تازاجورت مجرد قضاء على شعب أحد الثوار في بعض القبائل.

غزوة آسدرم إن الغزي: وكانت الغزوة التاسعة عند البيذق فيروي: " وهي بموضع يقال له اسدرم أن الغزى فسار بنا المعصوم حتى وصلنا إليه فقال للموحدين: ما يقولون؟ بعد أن سمع كلاما من عندهم قالوا له: لقبونا. قال وكيف لقبوكم؟ قالوا: يقولون خوارج، قال سبقونا بالقبيح، ولو كان خيرا أحجموا عنه وما سبقونا إليه قولوا لهم أنتم أيضا المجسمون"[3]. ولهذا فسبب غزو أهلها هو نعتهم لأتباع تومرت بالخوارج، فكان القتال

---

[1]- البيذق، أخبار المهدي، ص57.

[2]- نفسه،

[3]- نفسه، ص58.

الشديد في آسدرم إن الغزي سجالا، الأمر الذي دعى الطرفين إلى الانسحاب من أرض المعركة.[1]

وفي تينملل التي أقام بها ابن تومرت سنة 518هـ كانت آخر مرحلة من مراحل حياته، قام فيها بعملين مهمين هما: حادثة التمييز، وحصار مراكش.

1- حادثة التمييز:

أما عن عملية التمييز أو التطهير وكانت سنة 519هـ وخلاصتها أن المهدي قبيل الهجوم على مراكش أراد أن يميز صفوفه وينقيها من المنافقين، حيث قال ابن خلدون: " ورجع إلى تينملل وأقام بها إلى أن كان شأن البشير وميز الموحد من المنافق".[2] وتقول الرواية في حادثة التمييز هذه ' أنه في سنة تسع عشرة وخمسمائة أمر المهدي بتمييز الموحدين ونودي في جبل المصامدة من هرغة و جنفيسة من كان مطيعا لله ولرسوله وللمهدي فليصل وكانوا يعرضون إلى أبي محمد البشير فيخرج قوما على يمينه وقوما على يساره فكل من أخرجه على يمينه يزعم أنه من أهل الجنة وكل من أخرجه على يساره يزعم أنه من أهل النار ولا يخرج على اليسار إلا من كان شاكا في أن الإمام هو المهدي المعلوم."[3].

---

[1]- سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق: ج5، ص251.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص305.

[3]- ابن عذراى المراكشي، بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: إحسان عباس، ج4، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983م، ص69.

فابن تومرت استخدم أحد اتباعه للقيام بعملية التصفية هذه وهو محمد البشير، فقضى على كل من يشك في ولائهم، فميز الصالحين من غير الصالحين.[1] وفي هذا الشأن يروي لنا ابن الأثير قصة البشير فيقول: "وكان معه إنسان يقال له أبو عبد الله الونشريسي يظهر البله وعدم المعرفة بشيء من القرآن والعلم، ومع هذا فالمهدي يقربه ويكرمه ويقول: إن لله سرا في هذا الرجل سوف يظهر، وكان الونشريسي يلزم الاشتغال بالقرآن والعلم في السر، ولما كانت سنة تسع عشرة خرج الونشريسي لصلاة الصبح حسن الثياب طيب الريح فقال: إنني أتاني الليلة ملك من السماء فغسل قلبي وعلمني الله القرآن والموطأ وغيره من العلوم والأحاديث، فبكى المهدي بحضرة الناس ثم قال له: نحن نمتحنك فقال: افعل وابتدأ يقرأ القرآن قراءة حسنة من أي موضع سئل وكذلك الموطأ وغيره من كتب الفقه والأصول، فعجب الناس فقال لهم: إن الله تعالى أعطاني نورا أعرف به أهل الجنة من أهل النار".[2]

فأمر ابن تومرت البشير بأن يميز الخبيث من الطيب من بين الموحدين حيث ذكر البيذق:" فأكرم الله المهدي بدعوة البشير فأمر بالميز، فكان البشير يخرج المخالفين والمنافقين والخبثاء من الموحدين، حتى امتاز الخبيث من الطيب ورأى الناس الحق عيانا".[3]

---

[1]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 208.

[2]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص 198-199.

[3]- البيذق، أخبار المهدي، ص 58.

وقد وردت روايتين عن كيفية حصول التمييز، فالأولى تقول بأن البشير أخبر الموحدين بوجود ملائكة في آبار مهجورة، فقصدها المهدي و أتباعه، وكلم من في البئر، ثم أمر ابن تومرت بطمر البئر على الرجال حتى لا يكشفوا عن هذه الخدعة، والرواية الثانية تقول بأن المهدي أحضر شيوخ القبائل وطلب منهم أن يكتبوا له أسماء من عندهم من أهل الشر و الفساد، فلما اجتمعت لديه القوائم، جمع الناس وأمر البشير أن يعرض القبائل ويجعل المفسدين من جهة الشمال، وأمر أن يكتف هؤلاء ثم أمر كل قبيلة أن يقتلوا أشقياءهم.[1]

ومن الصعب ترجيع رواية عن الأخرى لأنه يمكن أن تكون كلتا الروايتين صحيحة، وكما يذكر لنا البيذق فإن حادثة التمييز هذه قد استمرت أربعين يوما ومات فيها من الناس خمسة قبائل.[2]

2- **حصار مراكش:** فقد بدأ ابن تومرت بنظم صفوفه، وبحشد حشوده لمهاجمة المرابطين في عقر دارهم، وخاطب أنصاره وأتباعه يستدعيهم للوصول إليه، فاجتمع لديه في تينملل ما يقرب من أربعين ألف راجل ونحو أربعمائة فارس قدم عليهم أبا محمد البشير، كما جعل عبد المؤمن إماما للصلاة، ولم يصحب المهدي جيشه في هذه الغزوة لمرضه ولكنه أوصى قواته وهو يودعهم.[3]بقوله: " أقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الذين تسمون بالمرابطين، فادعوهم إلى إماتة المنكر، وإحياء المعروف، وإزالة البدع، والإقرار بالإمام

---

[1]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص80-81.

[2]- البيذق، أخبار المهدي، ص 58.

[3]- حمدي عبد المنعم محمد حسين، المرجع السابق، ص104.

المهدي المعصوم، فإن أجابوكم فهم إخوانكم لكم مالهم وعليهم ما عليكم، وإن لم يفعلوا فقاتلوهم فقد أباحت لكم السنة قتالهم".[1]

ووقعت قبل المعركة الأولى الحاسمة عدة اشتباكات تمهيدية بين المرابطين والموحدين ففي سنة 520هـ بدأ المهدي في تنفيذ خطته من الاضطلاع بالهجوم وغزو ولمتونة على نطاق واسع، فبعث جيشا ضخما من الموحدين بقيادة أبي محمد البشيرفغزى بهم أراضي كيك شمال تينملل وغربي أغمات، فبعث " علي بن يوسف" لردعهم جيشا كبيرا أحسن الأهبة بقيادة أخيه الأمير" أبي الطاهر تميم" فالتقى الجمعان على مقربة من جبل كيك، فوقعت الهزيمة على المرابطين.[2] ثم وقت المعركة الثانية في موضع يسمى" بالجروبة" وكان على قيادة المرابطين الأمير أبو بكر ابن علي بن يوسف، ومعه القائد يطى بن إسماعيل، وانتهت هذه المعركة أيضا بهزيمة نكراء مني بها المرابطون وإستيلاء الموحدين على محلاتهم ودوابهم وأمتعتهم وأسلحتهم، ومطاردتهم لفلولهم إلى مكان يسمى بامجدار حيث اعتصدموا بفرقة عسكرية مرابطية يقودها نفس القائد المرابطييطى بن إسماعيل الذي كان قد ولى الأدبار في الجروبة، وتمكن الموحدون من إيقاع الهزيمة بعسكر المرابطين في هذه المرة أيضا وسقط يطى بن إسماعيل قتيلا.[3]

وعلى إثر هذا الانتصار الكبير واصل الموحدون زحفهم صوب أغمات، وكان المرابطون قد جمعوا شتات قواتهم وضموا إليهم حشودا هائلة من أهل أغمات واستعدوا للقاء

---

[1]- المراكشي، المعجب، ص260.

[2]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص184.

[3]- حمدي عبد المنعم محمد حسين، المرجع السابق، ص 104.

الموحدين من جديد، أما الموحدون فقد تناوب على قيادة عسكرهم ثلاث من أصحاب المهدي عبد المؤمن بن علي، وأبو حفص عمر بن علي أصناج، وأبو عمران موسى بن تمارا الجدميوي، فنشبت بين الفرقين معركة ضاربة إنتهت بهزيمة نكراء مني بها المرابطون وقتل منهم ومن أهل أغمات أعداد ضخمة.[1]

وصل الموحدون إلى أسوار مدينة مراكش، ثم ارتد قائدهم "أبو محمد البشير" عائدا إلى الجبل وعندما أمر علي بن يوسف الأخذ بكافة الاحتياطات من أجل اتقاء حرب المفاجئة التي درج عليها الموحدون، إزاء هذا الوضع أصبحت مراكش عاصمة الدولة المرابطية في خطر مستمر أمام هجمات الموحدين، وعليه لا بد للمرابطين إذا أرادوا البقاء والاستمرار في الحكم أن يضعوا حدا لمثل هذه الأخطار، فتهيأ أمير المرابطين " علي بن يوسف" لدفع الخطر عن مراكش ومحاولة الإنقضاض على الموحدين بتعبئة عسكرية كبيرة أولا ومراسلة المهدي بالكف عن سفك الدماء وإثارة الفتنة ثانيا[2]. وقد بلغ الجيش المرابطي يومئذ زهاء مائة ألف مقاتل ما بين فارس وراجل، وكان تحت إمرة "الزبير بن علي بن يوسف" وإلتقى الجمعان في ظاهر مراكش، فكتب عبد المؤمن لتوصية المهدي إلى علي بن يوسف.[3] فيروي المراكشي:" وكتب عبد المؤمن إلى أمير المسلمين علي بن يوسف بما عهد إليه محمد بن تومرت، فرد عليه أمير المسلمين يحذره عاقبة مفارقة الجماعة، ويذكره

---

[1]– حمدي عبد المنعم محمد حسين، المرجع السابق، ص 105.

[2]– محمد عبده حتامه، موسوعة الأندلس والمغرب العربي: الاقتصاد الأندلسي، الكتاب الثالث، دار المدار الثقافية، الجزائر، 2009م، ص340.

[3]– محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص186.

الله في سفك الدماء وإثارة الفتنة".[1] فنشبت بين الجانبين معركة عنيفة دارت فيها الدائرة على المرابطين وقتل منهم جموع غفيرة وهرعت فلولهم إلى داخل المدينة وأخذوا يتدافعون بهدف التحصن داخل أسوارها فهلك منهم في الزحام خلق كثير.[2]فأحاط الموحدون بالمدينة وأحكموا حولها الحصار وإستمر حصار الموحدين لمراكش أربعين يوما.[3]فتوالت الحروب، واشتعلت نارها كل يوم في قتال وهزائم، وأعراس للطيور وولائم وكان جملة من انحصر بها من الفرسان نحو أربعين ألفا، ومن الرجال ما لا يحصى عددهم إلا خالقهم".[4]

" فكان علي بن يوسف يحشر عساكره من جميع الأقطار، ويستوفد من بالأندلس منهم والعساكر تصل إليه كل يوم إلى أن وصله وانودين بن سير بعسكر سجلماسة، فانكسر إلى باب الدباغين، ووصل عسكر القبلة".[5] وبفضل هذه الامدادات الجديدة أمكن لعلي بن يوسف أن يعيد تنظيم صفوفه ويتأهب لمعركة فاصلة، " التي دارت في سبتان كبير هناك والبستان يسمى عندهم البحيرة، فلهذا قيل وقعة البحيرة وعام البحيرة".[6]

وبدأت المعركة بمناوشات على نطاق محدود دارت بين الحرس الأميري الخاص بعلي بن يوسف بقيادة 'عبد الله بن همشك" أحد رؤساء ثغور الأندلس وبين قوة من الموحدين فانهزم الموحدون، وقتل منهم نحو ثلاثمائة رجل فلما دخل إبن همشك حاملا تلك

---

[1]– المراكشي، المعجب، ص260.

[2]– حمدي عبد المنعم محمد حسين، المرجع السابق، ص106.

[3]– سعدون نصر الله، تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة، دار النهضة العربية، بيروت، 2003م، ص289.

[4]– مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص114.

[5]– ابن القطان المراكشي، المصدر السابق، ص160.

[6]– ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص200.

الرؤوس إلى مراكش، سادت الفرحة والبهجة نفوس الأهالي، حيث كان هذا الإنتصار رغم ضآلته كافيا لإسقاط أسطورة الموحدين ورفع معنوية المرابطين.[1]وهكذا فعلي بن يوسف" أمر في الحين بخروج عسكر، وقدم عليه الشيخ أما محمد بن وانودين" فالتقوا لقاءا ثبت الله فيه أقدام المرابطين، وهزم الموحدين، وسائر المصامدة، وقتل منهم في ذلك اليوم أزيد من أربعين ألفا، ولم يسلم منهم إلا نحو أربعمائة بين فارس وراجل، وقتل المقدم على عسكر الموحدين، وهو الشيخ محمد البشير أحد العشرة من أصحاب المهدي".[2] وقتل منهم عدد كبير ومن بينهم سليمان آحضري، وأبو عمران موسى الجدميوى، وأبو يحيى بن يحيت، وأبو عبد الله محمد بن سليمان وكلهم من أهل العشرة، ونجا عبد المؤمن بن علي في نفر من أصحابه وقد أصيب بجرح عميق في فخذه الأيمن، فلم ينقذهم سوى سواد الليل وهطول الأمطار.[3] فاتجه عبد المؤمن وأصحابه صوب أغمات فطارده المرابطون، حتى أرض هيلانة، وهناك وقعت بينهما معركة أخرى قاتل فيها الموحدون بشجاعة اليأس، ولكنهم هزموا مرة أخرى، وقتل منهم عدد جم، وارتد السرابلون بعد ذلك إلى مراكش وسارت فلول الموحدين إلى تينملل. ويضع ابن القطان تاريخ هذه الهزيمة الساحقة للموحدين في يوم السبت الثاني من جمادى الأولى سنة 524 هـ/11 أبريل سنة 1130م.[4]

---

[1]- حمدي عبد المنعم محمد حسين، المرجع السابق، ص107.

[2]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص116

[3]- صالح بن قربة، عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991، ص19.

[4]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص189.

وكان عبد المؤمن قد أرسل أبا بكر الصنهاجي الملقب بالبيذق ليبلغ المهدي بحقيقة ما حدث في معركة البحيرة فلما تأكد المهدي من نجاة عبد المؤمن خف لديه المصاب، وحمد الله على نجاته وقال الحمد لله رب العالمين قد بقي أمركم.[1]

وبعد ذلك اشتد المرض بالمهدي، وخرج من داره ليودع أصحابه، وجمع الناس ليسمعوا كلامه، ويشهدوا وداعه، فقال لهم: "إن صاحبكم راحل عنكم، فبكى الناس وودعوه، ثم دخل إلى داره، و اتصل به المرض إلى أن توفي[2]، ثم أنه توفي يوم الخميس الخـــامس و العشرون لرمضان عام أربعة و عشرين و خمسمائة بعد أن دعى بعبد المؤمن ووصـــاه و أمره بما يكون عليه عمله في مواراته و مدفنه و وصاه بإخوانه فكانت مدته ثماني سنين و ثمانية أشهر و ثلاثة عشر يوما.[3]

فلم يترك ابن تومرت أصحابه و أتباعه إلا و قد عهد إلى عبد المؤمن بن علي أن يتولى خلفا له قيادة الموحدين، و قد عبر ابن تومرت عن رغبته هذه حين جمع أهل الجماعـــة و أهل الخمسين و ذلك في مرضه و قبيل وفاته، و أخبرهم باختياره لعبد المؤمن خلفا له[4] و ذلك في حديث طويل أورده المراكشي و منه : "و قد اخترنا لكم رجلا منكم، و جعلناه أميرا عليكم، هذا بعد إن بلوناه في جميع أحواله، من ليله و نهاره، و مدخله و مخرجـه،

1- البيذق، أخبار المهدي، ص79.

2- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص116.

3- لسان الدين بن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط: القسم الثالث من كتاب اعمال الأعلام، تحقيق وتعليق احمد مختار العبادي، محمد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م، ص270-271

4- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس " عصر المرابطين والموحدين" مكتبة الخانجي، مصر، 1980، ص 63.

و اختبرنا سريرته و علانيته، فرأيناه في ذلك كله ثبتا في دينه، متبصرا في أمره، و إني لأرجو إلا يخلف الظن فيه، و هذا المشار إليه عبد المؤمن، فاسمعوا له و أطيعوا ما دام مطيعا لربه، فإن بدل أو نكص على عقبه أو ارتاب في أمره ففي الموحدين – أعزهم الله– بركة و خير كثير، و الأمر أمر الله يقلده من شاء من عباده."[1]

فبويع عبد المؤمن بيعتان بيعة خاصة و كانت عقب وفاة ابن تومرت و اقتصرت هذه البيعة على من بقي من أهل الجماعة و هم: عمر اصناج، عبد الرحمان بن زجو، و أبو إبراهيم إسماعيل الهزرجي، و لقد أخفى عبد المؤمن و من معه من أهل الجماعة خبر وفاة ابن تومرت فترة من الزمن[2]. حيث يروي ابن خلدون:" وخشي أصحابه من افتراق الكلمة و ما يتوقع من سخط المصامدة ولاية عبد المؤمن بن علي لكونه من غير جلدتهم فأرجأوا الأمر إلى أن تخالط بشاش الدعوة قلوبهم، و كتموا موته، زعموا ثلاث سنين يموهون بمرضه، و يقيمون سنته في الصلاة و الحزب و الراتب ...حتى إذا استحكم أمرهم و تمكنت الدعوة من نفوس كافتهم كشفوا حينئذ القناع عن حالهم و تملأ من بقي من العشرة على تقديم عبد المؤمن، و تولى كبر ذلك أبو حفص و أراد هنتاتة و سائر المصامدة غلبه فاظهروا للناس موت المهدي، و عهده لصاحبه و انقياد بقية أصحابه لذلك."[3] ، و لهذا فقد كان خبر كتمان وفاة ابن تومرت حتى لا تتعرض الدعوة لخطر

1– المراكشي، المعجب، ص 264.

2– مجموعة مؤلفين، التيارات السياسية والدينية وتأثيرها على نظم الحكم في بلاد المغرب والأندلس، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007، ص279.

3– ابن خلدون، المرجع السابق: ج6، ص 305–306.

التفتت، ثم أعلنت وفاة المهدي رسميا في سنة 527هـ فكانت سنة مبايعة عبد المؤمن البيعة العامة.[1]

1- السيد عبد العزيز سالم، المصدر السابق، ج2، ص781.

خاتمـــة

من خلال دراستنا لموضوع "حياة ابن تومرت مقاربة الدعوة و الثورة"، خرجنا بمجموعة من الاستنتاجات هي:

- أن مظاهر المناكر التي ظهرت في المجتمع المرابطي في عهد "علي بن يوسف"، و من بينها مظاهر التفسخ الاجتماعي، و التي اتضحت معالمه في تفشي ظاهرة شرب الخمر، و سفور النساء، بالإضافة إلى فئة الفقهاء التي تمتعت بامتيازات كبيرة من خلال استشارة الأمير لهم في كل كبيرة و صغيرة، مما أدى إلى سيطرتهم على الأمور السياسية، في كل هذه الظروف الاجتماعية و غيرها شجعت على قيام حركة دينية جديدة، تدعو لتغيير الوضع المعاش، و اتباع الدين الصحيح، فكانت بذلك ممثلة في شخصية ابن تومرت.

كان مولد ابن تومرت بقبيلة مصمودية بجبال الأطلس، بعيدة عن كل المؤثرات الحضارية، فنشأ على حب العلم و التزود به فحفظ القرآن الكريم منذ صغره، و بعد بلوغه العشرينات من عمره شد الرحال نحو المشرق لطلب العلم فدرس على أساتذة اشتهر كل واحد منهم بتعليمه علم من العلوم الإسلامية مما أتاح له ثقافة اسلامية متنوعة الجوانب.

و كانت رحلته العلمية للمشرق هي العامل الأساسي في تكوين شخصية ابن تومرت سواء من الجانب العلمي الفكري، أو من الجانب السياسي الاجتماعي، فإقامته الطويلة بالمشرق أتاحت له الاطلاع عن قرب على أنظمة سياسية مختلفة، فقد لقي الكـثير من الأمـراء

و الولاة، خاصة في طريق عودته إلى المغرب مما أكسبه ذلك معرفة واسعة بالواقع السياسي.

و قام ابن تومرت بنشر دعوته بين الناس آمرا بالمعروف و ناهيا عن المنكر، و ذلك في افريقية و المغرب الأوسط، و أخيرا المغرب الأقصى مسقط رأسه، فكان يغير المنكر بلسانه، فإن لم يستطع لجأ إلى تغيره بيده، فكان يكسر الاواني المليئة بالخمر، و يحطم آلات الغناء و الرقص، و كان يحث ذلك في كل مكان سواءا في المساجد أو في الطرق و في الميادين العامة، فلاقى مقابل ذلك مشاكل كثيرة تحملها بصبر كبير، و رغم كل ذلك كان هدفه المرسوم لا ينفك عنه، و لذلك كان صبره كبيرا و نشاطه واسعا لتحقيق هذا الهدف.

وأدرك ابن تومرت أن تأسيس دولة جديدة لابد لها من عمل عسكري ومن دولة تحميها من النكوص والزوال، ومن ثم قام بتكوين رجال أقوياء، فنظم أصحابه وأتباعه، وبهذه الخطوة انتقل ابن تومرت من عمله المهدوي الدعوي إلى إنباع طريق الثورة العسكرية وقتال المرابطين، وذلك بغرض تأسيس دولة قوية عظمى، فكون جيشاً قوياً وسيره لمحاربة المرابطين، فأطلق على أنصاره اسم الموحدين، وعلى المرابطين الكفرة المجسمين، ولكي يكون في أمان ومنعة اتخذ تينملل مقراً له فوقعت مواجهات عديدة بينهما، كان النصر في معظمها للموحدين، مما جعل ابن تومرت يندفع نحو مراكش عاصمة المرابطين، أين

وقعت المعركة الشهيرة التي عرفت بموقعة البحيرة، والتي انهزم فيها الموحدين هزيمة نكراء.

-وبعد هذه المعركة اشتد مرض ابن تومرت، ولم يظل بعد ذلك سوى أياماً معدودات، وتوفي في رمضان 524هـ/1130م، وكان قد اختار عبد المؤمن بن علي خليفة للموحدين بعده، ضماناً لاستقرار الدعوة الموحدية من بعده.

-لقد استخدم المهدي بن تومرت مجموعة الأساليب الشرعية وغير الشرعية وأستغل فكرة المهدوية المنتشرة في بلاد المغرب الإسلامي وكل ذلك من أجل الوصول بدعوته إلى أقصى مراحل النجاح.

الملحق رقم 01: وثيقة عن الكلام في العلم [1]

الكلام في العلم ثلاثة أقسام: بيان فضلي، وطرقه، وتقاسيمه، فأما بيان فضلي فعلى ثلاثة أقسام من الكتاب، والمعاني والحس أما الكتاب منها قوله تبارك وتعالى: شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط فبدأ بنفسه، وثنى بملائكته وثلث بأولي العلم من عباده فساواهم بنفسه، وملائكته، فلا أفضل أعظم من هذا... وقال لنبيه في العلم أمر بالرغبة فيه، والدعاء بالزيادة منه قول الله تعالى: «وقل ربي زدني علما» فلو كان معنى أفضل من العلم لأمره بالزيادة منه، والرغبة فيه، فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم أكرم الخلق عليه وأفضلهم لديه، فاختار له أفضل المعاني وأعزها وأشرفها وهو العلم.[1] ثم نرجع إلى طرق العلم فنقول إن طرقه منحصرة في ثلاثة أقسام: الحس والعقل والسمع، وهذه قسمة منحصرة تدور على ابن آدم في الدنيا والآخرة فلا يسأل العبد في الآخرة عنها، لأنها منحصرة فيما يسأل عنه، مما شاهده ببصره أو سمعه بسمعه أو أدركه بعقله فكل علم داخل فيها، وعنها يكون فالبصر هو ما يدرك به جميع المضرات وسمعه وما يسمع به جميع المسموعات من الشرع وغيره، والفؤاد راجع إلى القلب، كما قال الله تعالى: «لمن كان له قلب» والقلب والفؤاد واحد.

والحس على ثلاثة أقسام: متصل ومنفصل، وما يبدو الإنسان في نفسه فالمتصل كالملموسات والمذوقات، والمنفصل المسموعات، والأشخاص والألوان والذي يجده الإنسان في نفسه كالجوع والعطش والفرح وغير ذلك.

أما العقل فعلى ثلاثة أقسام: واجب وجائز ومستحيل، فالواجب ثلاثة أقسام: وجوب انحصار الحقائق، ووجوب إطرادها، ووجوب اختصاصها بإحكام منها: قلب الحقائق، ونقض الحقائق، وأما السمع أيضا فعلى ثلاثة أقسام: الكتاب والسنة والإجماع، فهذه هي طرق العلم.

---

[1] – محمد بن تومرت المصدر السابق، ص 172

الملحق رقم 02: خريطة تبين رجلة العودة من طرابلس إلى مراكش [1]

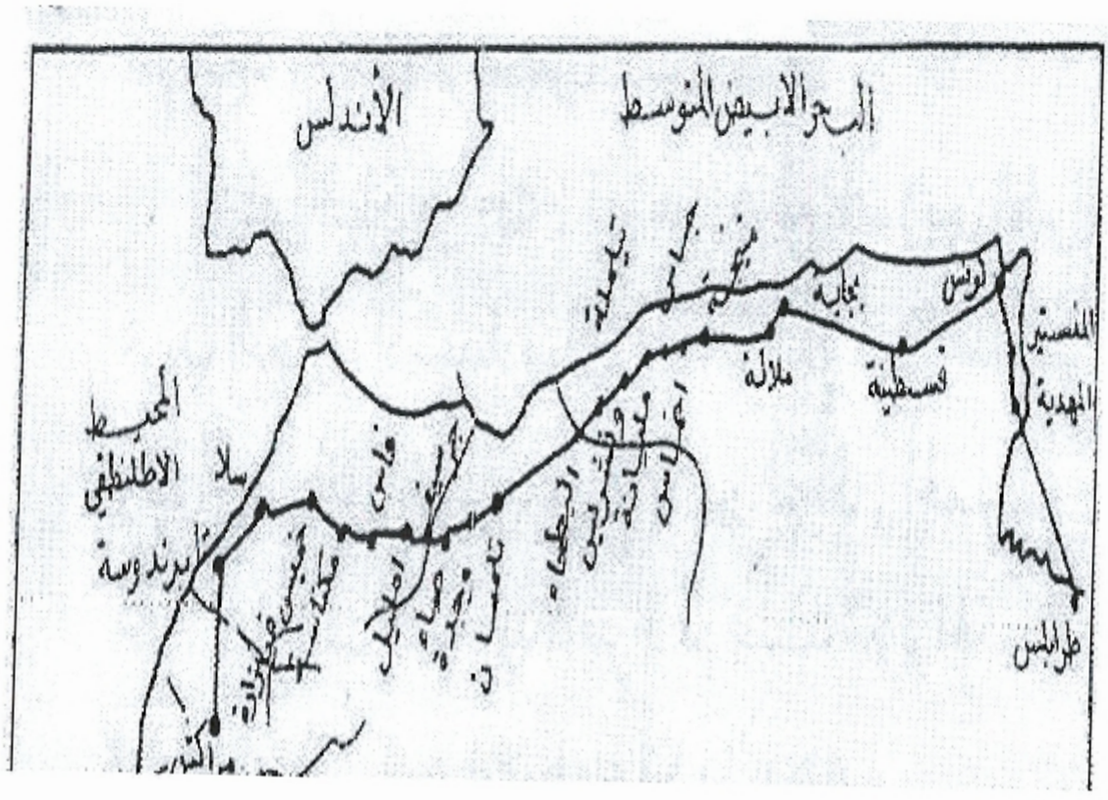

[1] – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 47

الملحق رقم 03: خريطة تبين رحلة ابن تومرت من مراكش إلى ايجلي[1]

[1] – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 60.

الملحق رقم04: خريطة المغرب الأقصى في عصر الموحدين[1]

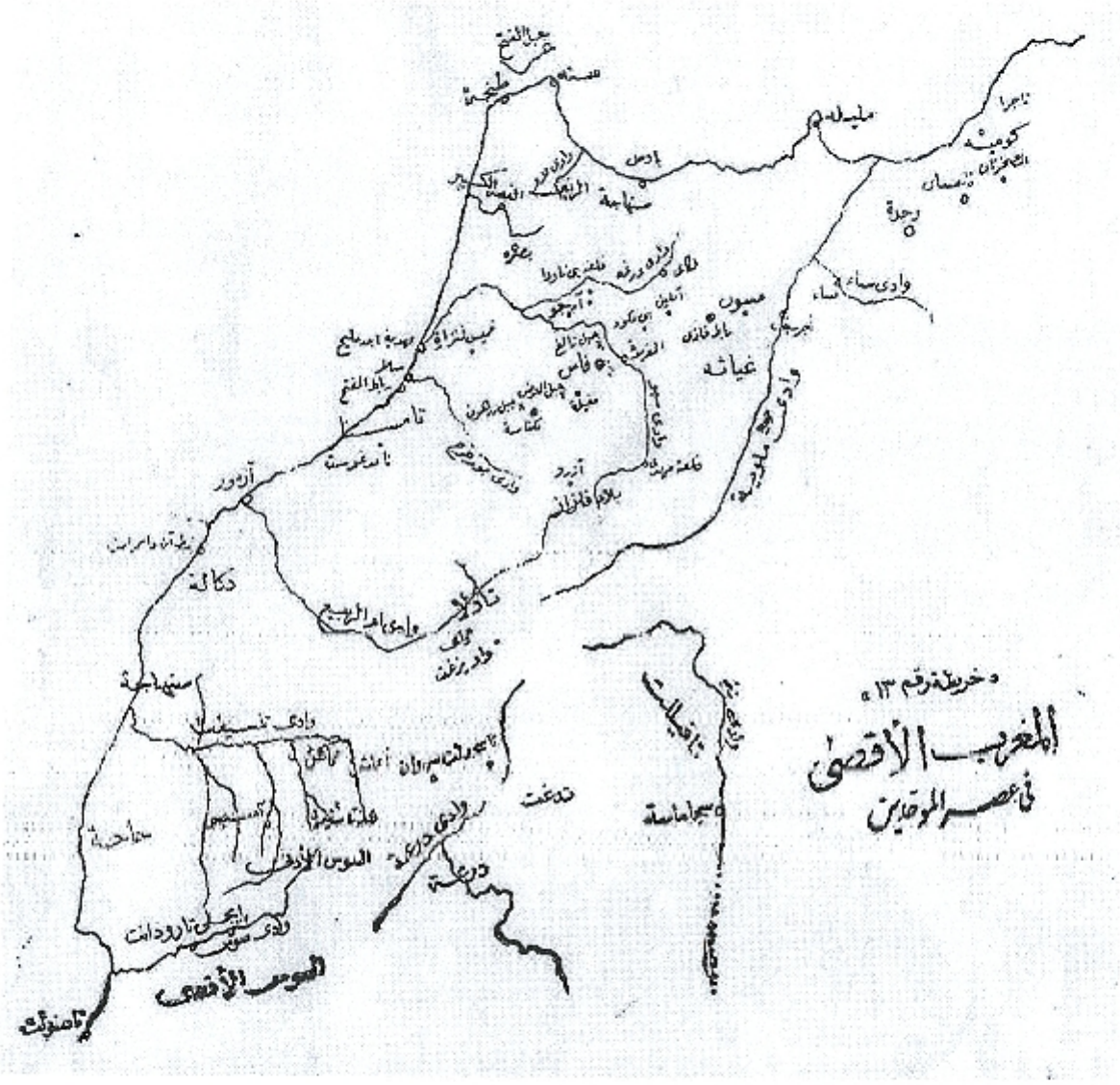

[1] – السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج2، ص 947.

الملحق رقم 05: خريطة تبين توزيع قبائل منطقة السوس[1]

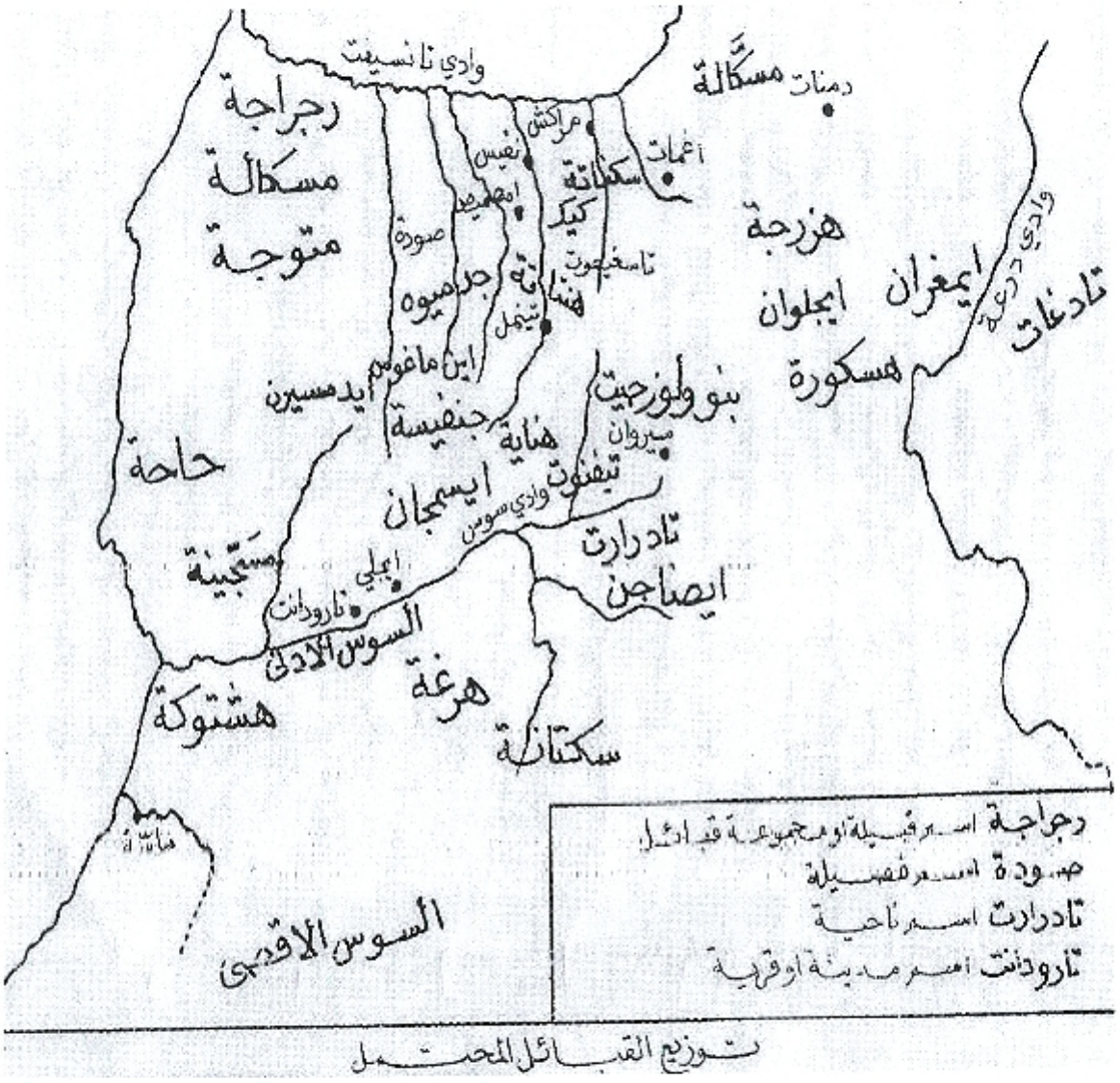

[1] – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 78

الملحق رقم 06: خريطة تبين تصميم مراكش [1]

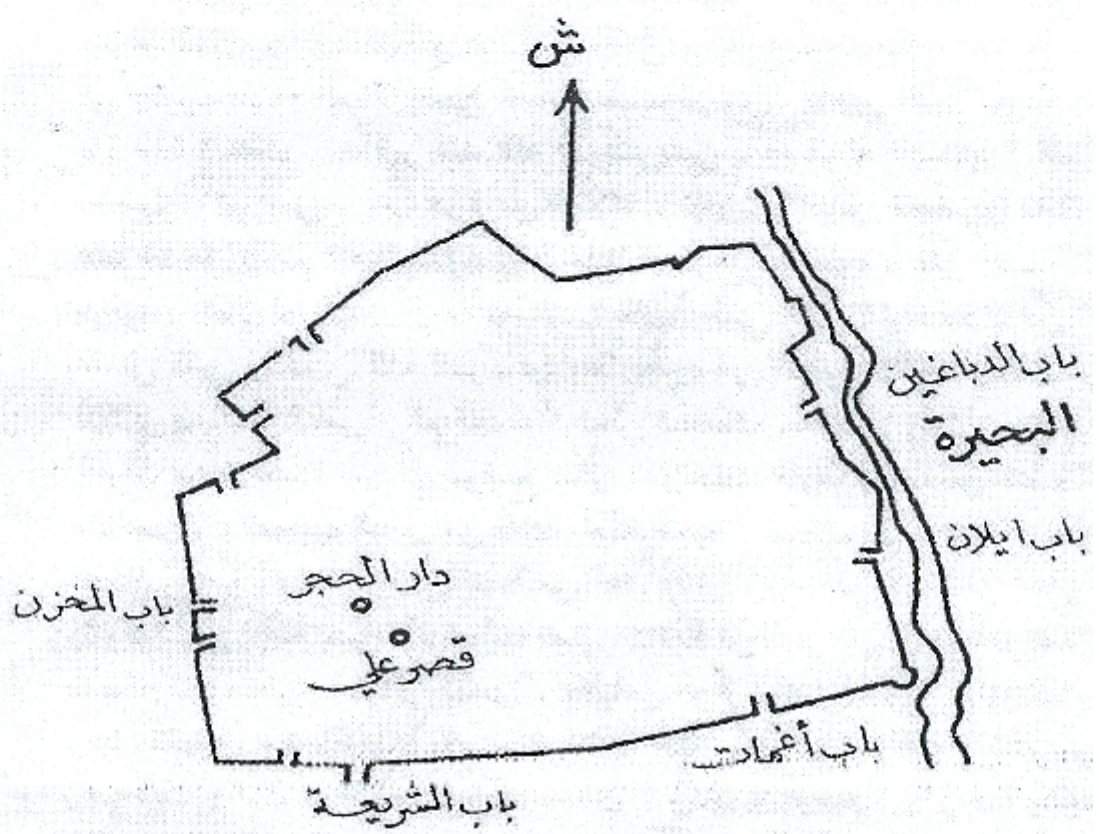

تصميم مراكش

[1] – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 83

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

- القرآن الكريم.

2- ابن الأثير، الكامل في التاريخ من سنة 489 لغاية سنة 561 للهجرة، مراجعة و تصحيح: محمد يوسف الدقاق، المجلد التاسع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 4، 2003م.

3- ابن الخطيب لسان الدين، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط: القسم الثالث من كتاب أعمال الأعمال، تحقيق و تعليق: أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م.

4- ابن خلدون عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، دار الفكر، بيروت، 2000م.

5- ابن خلكان، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، المجلد الخامس، دار صادر، بيروت، 1977م.

6- ابن عذارى، بيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق و مراجعة: إحسان عباس، ج4، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983م.

7- البغدادي شهاب الدين أبي عبد الله الحموي الرومي، معجم البلدان، م1، دار صادر، بيروت، 1977م.

8- الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966م.

9- المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين مع ما يتصل بتاريخ هذه الفترة من أخبار القراءة و أعيان الكتاب، تحقيق: محمد سعيد العريان، [د، م]، [د، ت].

10- المراكشي عبد الواحد، وثائق المرابطين و الموحدين، تحقيق: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة العربية، [د، م]، 1997م.

11- المراكشي ابن القطان، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

12- المالكي ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة و تحقيق: مأمون يحي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.

13- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الدولتان المرابطية و الموحدية، ج2، تحقيق: محمد الناصري، جعفر الناصري، دار الكتاب للنشر، الدار البيضاء، 1954م.

14- الصنهاجي أبو بكر بن علي المكنى بالبيذق:

*أخبار المهدي بن تومرن، تقديم و تحقيق و تعليق: عبد الحميد حاجيات، موفم للنشر، الجزائر، 2011م.

15- * المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عبد الوهاب منصور، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1971م.

16- الفاسي ابن أبي زرع، الأنيس المطرب برومن القرطاس في أخبار ملوك المغرب و مدينة فاس، صور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1972م.

17- بن تومرن محمد، أعز ما يطلب، تحقيق: عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

18- مؤلف المجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979م.

19- بن صاحب الصلاة عبد الملك المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب و الأندلس في عهد الموحدين، تحقيق: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1964م.

المراجع:

1- أبو رميلة هشام، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية و الدول الإسلامية في الأندلس، دار الفرقان، الأردن، 1984م.

2- أحمد طه جمال، مدينة فاس في عصري المرابطين و الموحدين 448هـ/1056م إلى 668هـ/1269م دراسة سياسية حضارية، دار الوفاء، الإسكندرية، 2001م.

3- المنوني محمد: حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، المغرب، 1989م.

4- النجار عبد الحميد:

* المهدي بن تومرت: حياته و آرائه و ثورته الفكرية و الاجتماعية و أثره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.

5- * تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت: الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس الهجري، المعهد العالمي الإسلامي، 1981م.

6- العبادي أحمد مختار، في تاريخ المغرب و الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2008م.

7- الفقي عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ المغرب و الأندلس، مكتبة نهضة الشرق، الإسكندرية، 1990م.

8- السيد محمود، تاريخ دولتي المرابطين و الموحدين، مؤسسة شهاب الجامعة، الإسكندرية، 2004م.

9- بن قرية صالح:

* عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991م.

10- * أبحاث و دراسات في تاريخ و آثار المغرب الإسلامي و حضارته، دار الهدى، الجزائر، 2011م.

11- بوتشيش إبراهيم القادري، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب و الأندلس، خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت،[د، ت].

12- بورويبة رشيد، ابن تومرت، ترجمة: عبد الحميد حاجيات، كنور للإنتاج و النشر و التوزيع، الجزائر، 2001م.

13- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي، ج4، دار الجيل، بيروت، ط5، 2001م.

14- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس 'عصر المرابطين و الموحدين'، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م.

15- زغروت فتحي، الجيوش الإسلامية و حركة التغيير في دولتي المرابطين و الموحدين (المغرب و الأندلس)، دار التوزيع و النشر الإسلامية، القاهرة، 2005م.

24- علام عبد الله علي، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م.

25- عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث: عصر المرابطين و الموحدين في المغرب و الأندلس القسم الأول: عصر المرابطين و بداية الدولة الموحدية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1990م.

26- سالم السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب الكبير العصر الإسلامي دراسة تاريخية و عمرانية و أثرية، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

27- سعدي عثمان، الجزائر في التاريخ، شركة دار الأمة، الجزائر، 2013م.

الموسوعات:

1- حتاملة محمد عبده، موسوعة الأندلس و المغرب العربي: الاقتصاد الأندلسي، الكتاب الثالث، دار المدار الثقافية، الجزائر، 2009م.

2- مجموعة مؤلفين، التيارات السياسية و الدينية و تأثيرها على نظم الحكم في بلاد المغرب و الأندلس، منشورات، مركز الوطني للدراسات و البحث، الجزائر، 2007م.

3- مجموعة مؤلفين، موسوعة المسكوكات المغربية على عهد الموحدين و الحفصيين و المرينيين خلال القرون: السادس و السابع و الثامن للهجرة الثاني عشر و الثالث عشر و الرابع عشر للميلاد دراسة حضارية، ج1، دار الساحل، الجزائر، 2011م.

4- مصطفى شاكر، موسوعة دول العالم الإسلامي و رجالها، ج2، دار العلم للملايين، بيروت، 1993م.

فهرس الموضوعات

الصفحـــة

الاهداء

الشكـــر

خطة البحث

مقدمـــــة..... أ-ث

مـــــدخل: مظاهر المناكر في مجتمع المرابطي..... 9-5

الفصـــل الأول: المهدي بن تومرت-شخصيته و تكوينه 27-10

المبحث الأول: مولده و نسبه..... 17-11

المبحث الثاني: نشأته..... 19-18

المبحث الثالث: رحلة ابن تومرت إلى المشرق..... 27-20

الفصل الثاني: الدعوة التومرتية 55-28

المبحث الأول: عودة ابن تومرت من المشرق و بداية دعوته..... 45-29

المبحث الثاني: مفردات الدعوة..... 50-46

المبحث الثالث: ابن تومرت من الدعوة إلى البيعة..... 55-51

الفصل الثالث: مسار تأسيس دولة الموحدين 91-56

المبحث الأول: تأسيس الجماعة الموحدية..... 67-57

المبحث الثاني: النشاط العسكري..... 91-68

خاتمـــــة..... 94-92

قائمـــــة الملاحـــق..... 100-95

قائمـــــة المصادر و المراجـــــع..... 108-101

فهرس الموضوعات..... 109